روايات أحلام

جين سومرز

أحزان الشيطان

www.elromancia.com

مرمورية

www.elromancia.com

احزان الشيطان

جين سومرز

قال لها: «لقد دفعت الكثير من المال لأجلك، وأنا أتوقع بدل ما دفعت».

كيلي رضيت أن تتزوج من نيقولاس ديتريوس حتى تنقذ أهلها من الإفلاس.

وفي جزيرة ابيه الضائعة بين جزر اليونان، حيث عاشت معه واجهتها الشكوك المؤلمة: هل يمكن أن يكون تزوجها لتغطية علاقته بزوجة أبيه الثالثة.

كيلي لن تقبل بأن يستمر هذا الوضع، ونيقولاس الذي حوّل لياليها إلى جحيم سيحزن كثيراً، وستعرف كيف تجعله يدفع الثمن غالياً.

١ ـ رهان على الحياة

كانت ثريا أثرية من الكريستال تتدلى من السقف العالي المنقوش منذ زمن بعيد بأشكال الورود وصور «كيوبيد». نفس الأشكال كانت محفورة على الخشب الذي يزين جدران الغرفة. إنها غرفة جميلة، كانت فيما مضى قاعة رقص لقصر أنيق في إحدى ضواحي لندن، ولكنها الآن تحتوي على طاولة روليت بدلاً من عازفي الكمان والراقصين.

في الغرفة أربع طاولات. أكبر حشد كان حول الطاولة الأقرب إلى وسط الغرفة، وتحت الثريا مباشرة تقريباً. وتقدم نحو تلك الطاولة رجل ذو شعر أسود، عريض الكتفين، يلبس ثياب سهرة رسمية سوداء وبيضاء، يمشي ببطء ويداه في جيب بنطلونه الأنيق.

وبينما هو يقترب من الطاولة اندفع رجل، وجهه محمّر وعيناه الرماديتان تشعان بالغضب، من وسط الحشد. وسأله الرجل «ماذا حدث»؟

وأجابه الرجل الأصغر منه سناً «إنها تخسر ولا تريد أن تتوقف. ولا أستطيع أن أجعلها تتوقف، لذا قلت لها إنني ذاهب إلى البيت، قد يدفعها هذا إلى التوقف».

ومضى في طريقه، وتابع الرجل الأسمر طريقه إلى أن وقف خلف مجموعة الرجال والنساء، الذين يتفرجون، وتركزت نظرته على المرأة الشابة التي كانت تجلس إلى الناحية الأخرى من الدولاب.

شعرها أشقر كثيف بلون الفضة. تجمعه إلى الوراء بعيداً عن جبهتها العالية وتربطه في منتصف رأسها برباط من المخمل الأسود، وما وراء الرباط كان يتدلى متجعداً من غير نظام حتى كتفيها العاريتان إلا من حمالة الثوب الحريرية السوداء الرفيعة التي تحمل فستانها.

وكان الضوء يشع فوق شعرها الذهبي الأبيض وعلى بشرتها الناعمة العاجية. وجهها كان شاحباً جداً وطرف لسانها يضغط على شفتها السفلى، ورموشها الطويلة المليئة بالكحل، ترتجف فوق عينيها الزرقاوان الغامقتان، وهي تحدق بطابة الروليت التي تقفز فوق الدولاب.

وبدأ الدولاب يبطىء، وانفرجت شفتا كيلي ميلتون ببطء وهي تراقب الكرة العاجية الصغيرة تلف دورة الدولاب ثم تنطنط ويبطىء الدولاب أكثر، حاملاً الكرة معه. وعندما توقف الدولاب تماماً أعلن مدير اللعبة عن الرقم الرابح.

وصدرت ضحكة انتصار عن المرأة الجالسة إلى يسار كيلي. فقد ربحت للمرة الأولى في تلك الأمسية. ومد مدير اللعبة يده ليجمع الفيش. وراقبت كيلي آخر مبلغ رهان لها يذهب مع الباقي. وها هي الآن في ورطة أكبر من تلك التي أتت بها إلى هنا في أوائل الأسبوع، حيث كانت مصممة على ربح ما يكفي من المال لتسدد الدين الضخم الذي تركه والدها بعد أن مات مؤخراً، وهي الآن لم تخسر مدخراتها فقط بل أصبحت مدينة أيضاً للنادي الذي غطى لها رهانها هذه الليلة.

وتطلعت حولها، والتقت عيناها بعيني مدير اللعبة، ورفعت حاجبيها متسائلة بينما كان يطلب من الناس وضع رهانهم ثانية. وهز رأسه ببطء من جانب إلى جانب، وهذا يعني أن النادي لن يغطي لها الرهان بعد الآن وتجولت نظرات كيلي بالناس الذين يراقبونها. لقد ذهب

جيم كما هددها. واصبحت لوحدها، ومن الأفضل لها أن تدبر أمر رجوعها إلى البيت.

ووقفت وابتعدت عن الطاولة معتذرة. كانت طويلة. وجسمها الملفوف يبدو أنحل في ثوبها الاسود الضيق، وخرجت من الغرفة وهبطت السلالم المستديرة نحو المدخل، وهي تتحرك ببطء ورشاقة، رأسها الجميل مرتفع إلى فوق، وابتسامة خفيفة تعلو شفتيها، رافضة أن تظهر للعالم أنها يائسة.

عند غرفة الملابس في الردهة السفلى أبرزت بطاقة، وجلبت لها المرأة المسؤولة عباءة طويلة من المخمل الأسود مطرزة بالساتان بلون المحار. وكانت كيلي على وشك أن ترفع العباءة وتلفها على كتفيها عندما امتدت ذراع ترتدي بذلة سوداء أمامها، وقال لها صوت رجل بهدوء:

ـ أتسمحين لي.

واستدارت بسرعة. وحاجباها الرفيعان قد ارتفعا. كان الرجل أطول منها بقليل. وله كتفان. وصدر عريضان. وفوق ياقة قميص السهرة، برز وجهه المربع الذقن، الأسمر البشرة، وعلى كلا جانبي أنفه المعكوف قليلاً إلى الأسفل، عينان سوداوان، فوقهما حاجبان سميكان محددان بدقة غريبة. وشعره أسود لماع يلتف فوق جبهته العريضة ويهبط إلى جانبي ذقنه.

وقالت بهدوء «شكراً لك» وأدارت ظهرها له لتمكنه من وضع العباءة على أكتافها. وبدا لها أنه مألوف، ولكن لم تستطع أن تفكر في تلك اللحظات أين التقيا من قبل. وسألته مستديرة إليه وهي تربط شرائط العباءة:

ـ هل أعرفك؟

ـ تعرفين عني، كما أتوقع. ولكن لم نتعرف من قبل.

رد عليها بكل أدب، وبدت لغته الانكليزية رائعة، إلا أن مخارج الكلمات كان فيها شيء جعلها تخمن أنه لم يتعلمها في انكلترا، وتابع:

ـ لقد كنت أراقبك تلعبين الليلة.. والليالي... والليالي الأخرى.

إذاً فقد رأته هناك، يقف بين الآخرين المتجمعين حول الطاولة. وكان يبدو كالفراشة السوداء بين الفراشات الملونة. وتطلعت اليه كيلي. يبدو بطريقة ما شريراً و... شيطانياً. وشعرت برعدة من الخوف تسري في جسدها وقررت أن تبتعد عنه، وهكذا أعطته أبرد نظرة ممكنة وقالت:

ـ شكراً لك مرة أخرى، وعمت مساء.

واستدارت على عقبيها ومدت يدها إلى مقبض الباب. وابتسمت للبواب عندما فتحه لها. وخرجت إلى أضواء الليل وأقفل الباب وراءها. وللحظة ترددت في مكانها وهي تشعر بالهواء البارد المزعج يلفحها من خلال العباءة المخملية، ويجعل بشرتها ترتجف، وتمنت لو أنها رحلت مع جيم، متأملة أن يكون معها أجرة تاكسي لتعود إلى «ريتشموند».

ـ سأكون سعيداً لإيصالك إلى أي مكان ترغبين فيه.

وكان الرجل الأسمر الطويل يقف إلى جانبها، مع أنها كانت متأكدة أنه لم يكن هناك عندما خرجت من الباب. وذعرت فجأة وأسرعت نازلة السلالم، دون أن تنظر إلى أين تذهب، ونظرتها تطوف الشارع بحثاً عن تاكسي. عند الدرجة الأخيرة، التوى كعب حذاء السهرة وفقدت توازنها. وأصبح الرجل بقربها فوراً. ويده تحت ذراعها يساعدها على الوقوف. وقال مازحاً:

ـ هناك مثل انكليزي يقول: الكبرياء دائماً يسبق السقوط. وأنت لديك كبرياء، لذا فلن تعترفي بأنك في ورطة لعينة.

ـ وكيف تعرف هذا؟

واستدارت إليه وهي تسحب ذراعها من قبضته، وبدا وجهه في ظلام الشارع، مظلماً أكثر وشيطانياً أكثر. وصرخت به «من أنت؟ الشيطان؟» وأطلق ضحكة ساخرة ناعمة، وشعرت بشعر رقبتها يقف وقال «ربما أكون شيطانك الخاص الآن. اسمي نيقولاس ديتريوس. أعتقد أن الاسم مألوف لديك. وأنا هنا في لندن لأقابلك. في الواقع مضى علي أسبوعان وأنا أحاول مقابلتك، ولكنك أثبت عن جدارة في المراوغة. هناك مسائل بيننا بحاجة للبحث والترتيب»..

ـ ليس بيننا أي شيء للنقاش أو الترتيب سيد ديتريوس. فأنا أنوي دفع كل المال الذي أقرضته لأبي، لا تقلق. فالشيطان سيحصل على دينه. عمت مساء..

ومرة ثانية استدارت وسارت في الشارع، ولكنها لم تبتعد كثيراً لوحدها، فخلال لحظات كان يسير إلى جانبها، بارتياح بخطوات عريضة، ويداه في جيوب سرواله. وسألها بلطف:

ـ هل تنوين السير طول المسافة إلى حيث تسكنين؟

ـ لا، سأستقل المترو إلى محطة «واترلو» وهناك سأركب القطار إلى «ريتشموند».

ـ وهل هذا آمن لك، في هذا الوقت من الليل، وانت بهذا اللباس؟

ـ ماذا تعني، أنني بهذا اللباس؟

واستدارت اليه، وهي تجذب العباءة على جسدها أكثر، وترتجف قليلاً. إنها حقاً ليلة باردة، باردة كالثلج، على الرغم من أن الوقت هو

في أواخر آذار، وقد اقترب موعد الربيع.

ـ هذا الثوب الذي ترتدينه مكشوف جداً. يمكن القول إنه مثير. وامرأة مثلك، وحيدة في الليل، قد تثير انتباه بعض الناس السيئين.

ـ انظر يا سيد ديتريوس. هذه بلدتي، وكنت أسافر بالمترو لعدة سنوات ومتأخرة في الليل، ولم يحدث لي شيء سيء حتى الآن.

ـ هناك دائماً المرة الأولى. لدي سيارة متوقفة قريباً من هنا، وكما قلت سابقاً سأكون سعيداً في إيصالك. وقد نتكلم ونحن في الطريق.

ولاحظ ارتجافها ثانية فقال «ستكونين أكثر دفئاً.. وأمناً...».

ـ مع نيقولاس ديتريوس؟ أشك في هذا فسمعتك مع النساء معروفة. وتجاهل سخريتها وقال بهدوء «أنت تشبهينه».

ـ أشبه من؟

ـ دايفيد... والدك، متكبر، متهور، مستقل برأيه. كان رجلاً عظيماً. لا بد أنكما كنتما مقربين. أراهن أنك تفتقدينه.

ـ أوه.. أجل.. أفتقده.

كانت هذه استجابة غير إرادية لأول تعليق لطيف من أي شخص خارج العائلة عن والدها منذ توفي. وفي اللحظة التالية عادت إلى تكبرها، وقالت ورأسها مرفوع «لقد كنا اصدقاء مقربين، لذا لا أستطيع أن أفهم لماذا أخفى عني اتفاقه معك».

ـ أستطيع تفسير هذا، ولكن ليس هنا. فالبرد شديد. إذا كنت لا ترغبين في أن أوصلك، فما رأيك بتناول العشاء معي؟ هناك مطعم صغير حيث نستطيع ان نتعشى ونشرب القهوة، ثم تعودين إلى «ريتشموند».

وقالت بتحد «وإذا رفضت؟ ماذا ستفعل؟».

ـ سأسير معك إلى محطة المترو، وأسافر معك إلى محطة «واترلو»

ثم الى «ريتشموند». وبما أنني حصلت عليك الآن فلن أتركك تغيبين عن نظري إلى أن نصل إلى اتفاق معقول.

وقالت له بسخرية لاذعة «أنت تحب حقاً أن تحصل على ما تريد بطريقتك الخاصة» ولكن السخرية فقدت شيئاً من حدتها لأن أسنانها اصطكت فجأة من البرد. ورد عليها بنفس اللهجة «ليس أكثر منك».

لبضع لحظات تصارعت مع كبريائها. على كل، كانت قد تجنبت لقاء هذا الرجل لبضعة اسابيع حتى الآن، وأقسمت أن لا يكون لها شأن معه.

ولكنها الآن جائعة وتشعر ببرد كثير، وهناك شيء ما حوله، جذبها وجعلها تشعر بعطف دافىء، على الرغم من مظهره الشيطاني، واستسلمت اخيراً «حسن. ولكن يجب أن ألحق بآخر قطار».

ـ ستلحقين به.. من هنا أرجوك.

لم يكن المطعم بعيداً. وكان الدخول من بابه كالدخول من الظلام الدامس لليلة من ليالي الشتاء إلى ضوء الشمس في اليونان. تحت الإضاءة الذهبية المشعة كانت جدران بيضاء تتلألأ، وفرش ارض مساطي دافىء. وتماثيل متعددة الألوان وقطع «كانفا» معلقة على الجدران، ومن مكبرات الصوت، المخفية في مكان ما، يأتي النغم القوي لموسيقى «البوزوكي». واقبل ساقٍ شاب يرتدي سروالاً وقميصاً اسودين، ويربط شالاً أحمر على رقبته، فحيا نيقولاس وكأنه صديق قديم وابتسم لكيلي، وكأنها المرأة الوحيدة في العالم. وقادهما عبر ممر مسقوف كالقنطرة إلى غرفة طعام أخرى.

وجلست كيلي. وأرخت العباءة عن كتفيها إلى ظهر المقعد، وتطلعت حولها باهتمام بينما كان نيقولاس ديتريوس يتفحص لائحة الطعام. وسألته «هل هناك أماكن مثل هذه في بلادك؟»

ـ «عذراً؟» ورفع رأسه عن لائحة الطعام، فمن الواضح أنه سمعها ولكنه لم يفهم ماذا قالت.

ـ هذا المكان، من المفترض ان يشبه «الخان» في اليونان، أليس كذلك؟ وأجال نظره في الغرفة، ثم إليها، وبدا السرور في عينيه.

ـ إنه تقليد ممتاز «للخان» اليوناني.. أجل.. ربما أنظف وأقل رائحة. ألم تذهبي أبداً إلى اليونان؟.

ـ لا، لم أذهب.

ـ وهل تحبين الذهاب إلى هناك.

ـ ألا يحب ذلك كل إنسان، لرؤية الاكروبوليس في اثينا والأماكن المقدسة في «دولفي»، والآثار القديمة الأخرى. أنت يوناني أليس كذلك؟

ـ يوناني بالأكثرية. أظن ثلاثة الأرباع. والربع الآخر انكلوسكسوني صلب. والدي بالطبع يوناني، ولكن والدتي هي من أصل اميركي يوناني. وكانت تقول لي دائماً إنني أشبه والدها الذي كان يدّعي ان واحداً من أجداده وقع على إعلان الاستقلال في اميركا.

ـ ولكنك لا تشبهه في المنظر بالتأكيد.

ـ لا بل بالأطباع، عنيد كالبغل، ماذا تحبين أن تأكلي؟

ـ هل من الممكن أن أحصل على طبق «عجة»؟

ـ سأسأل.

وأقبل الساقي الشاب يحمل زجاجة عصير وكاسين.

وتحدث معه نيقولاس باليونانية، وبعد أن وضع أطباق الطعام الشهي على الطاولة: جبنة وزيتون وقطع من السمك واللحم، أجاب بنفس اللغة وهو يصب لهما الشراب. وقال لها داميان:

ـ يقول إن رئيس الطهاة سيكون سعيداً لأن يصنع طبق عجة لسيدة جميلة مثلك. هل ترغبين أن يكون فيه شيء خاص؟

ـ بعض الفطر أرجوك. إذا وجد.

وابتسمت كيلي للساقي. الذي انحنى لها ويده على رأسه وقال: «مدام.. لأجلك أذهب وألتقطها من الحقل بنفسي».

وتمتم نيقولاس بعدما ذهب الساقي «من الواضح أنك انتزعت إعجابه» ورفع كأسه وقال «نخب معرفة أفضل بيننا».

ونظرت إلى كاس الشراب بريبة «ما هذا؟».

ـ إنه «الأوزو» طعمه كاليانسون.

ـ ولن يؤثر عليّ.

ـ جربيه..

ونظر إليها، وبدت عيناه أكثر سواداً وهما مخبأتان خلف أهدابه الطويلة، وتخفيان بهذا أي تعبير فيهما. وارتشفت قليلاً من الشراب، معه حق، طعمه كاليانسون، ويبدو أنه غير مضر أبداً. وتناولت بعض المتبلات، وارتشفت المزيد، ثم سألها:

ـ هل كنت تأملين حقا أن تكسبي ما يكفي من المال على طاولة الروليت، حتى تدفعي ديون والدك لي؟

ـ أجل، كانت مقامرة توجب عليّ أن أقوم بها.

وبدأت تحس بالدفء وعدم الخوف من الرجل الجالس أمامها. لم يكن منظره شيطانياً كما بدا لها أول مرة، وأدركت الآن أن مشاعرها البائسة وهي تغادر نادي القمار هي التي جعلتها تذعر من منظره.

وسألها «ولماذا؟»

ـ حسناً كان عليّ أن أحاول عمل شيء.. أترى.. لا أستطيع أن أتركك تأخذ كل شيء منا، البيت الذي تعيش فيه أمي، الأسهم التي

يملكها أبي في الميلتون التي سترثها أنا وأمي وأخي جو، والتي قدمها لك والدي كضمان عندما اقترض منك المال. . لقد كانت وفاته صدمة كبيرة لنا. . .

ـ بالطبع كانت صدمة. . وأنا حقيقة آسف لما حدث. حادث سيارة أليس كذلك؟

ـ أجل.

ـ لقد صدمت أيضاً عندما سمعت الخبر.

ـ ولماذا لم تأتِ إلى جنازته. طالما تحترمه هكذا؟

ـ لأنني لم أتبلغ نبأ الوفاة إلا بعد الجنازة، بعد أن كتب لي محاميه ليذكرني بشروط القرض. لقد قدمت حالما استطعت واتصلت بالمحامين.

ونظر إليها وحاجباه مرفوعان وتابع:

ـ لقد حاول المحامون الاتصال بوالدتك، ولكن قيل لهم إنها سافرت، ولا تريد رؤيتي. وقيل لهم إنك أيضاً لا تريدين رؤيتي. عندها طلبت عنوانكم وأتيت إلى «ريتشموند» ولم أجد أحداً في المنزل، لم يكن هناك أحد لمدة أسبوع.

وزم فمه بابتسامة ساخرة

وأسرعت كيلي للقول مدافعة:

ـ أمي كانت مريضة، لم يصدمها فقط موت والدي بل أيضاً معرفتها أننا إذا لم ندفع الدين سنطرد من البيت ويصبح كل شيء لك. لذلك سافرت عند شقيقتها.

ـ أعتقد أنك أنت من اقترحت عليها هذا. وأين أخوك؟

ـ جو. . لقد عاد إلى المدرسة. فهو في السابعة عشر من عمره

ويجب أن ينهي دراسته قبل أن يعمل. إنه في مدرسة «بروكسهيل» الداخلية في «دورسيت».

وقال لها بحدة «وأين كنت مختبئة خلال الأسبوعين الماضيين؟».

اللهجة المستبدة في صوته جعلتها تشعر بالغضب، ولكنها تمهلت، وتناولت كأسها وأفرغت ما بقي فيه من شراب. ووضعته على الطاولة وهي تنظر إليه بتحدٍ، وردت عليه ببرود:

ـ لقد كنت أزور أحد الأصدقاء.

ـ هل هو ذلك الشاب الذي كان معك في نادي القمار؟ بدا غاضباً منك، حتى أنه تخلى عنك. هل تعيشين معه؟

ـ من. . جيم وحق السماء لا. . .

وضحكت وتناولت علبة السجائر من حقيبتها وتابعت:

ـ لقد كنت مع شقيقته بليندا رسل، فنحن صديقتان حميمتان من أيام الدراسة، وطلبت من جيم القدوم معي إلى النادي لأنني أعرف أن الإدارة لا تسمح للنساء بالدخول دون مرافقة.

ـ وكم خسرت؟

ـ هذا ليس من شأنك.

وأخذت سيجارة، وأقفلت العلبة وأعادتها إلى الحقيبة وأخذت تفتش عن الولاعة.

ـ لقد خسرتِ كل مدخراتك، والتي قد تبلغ مئات من الجنيهات، إضافة إلى ألف استقرضتيه من الإدارة.

ـ وكيف عرفت؟

ـ لا يهم كيف عرفت. إذاً أنت الآن مديونة. ألم يكن من الأفضل لك أن تنتظري لتسمعي ما أنوي أن أفعله قبل أن ترمي بمالك إلى دولاب الحظ؟

www.elromancia.com

ـ أعتقد كان من الأفضل، ولكن كما ترى أنا لست حكيمة. فأنا مثل دايڤيد، متكبرة، وطائشة وكثيرة الاعتماد على نفسي ولا أعتمد على شخص مثلك.

ـ متكبرة وطائشة وجميلة. إنه مزيج خطر.

وبدت عيناه السوداوان فجأة ناعمتان وحساستان وهو يجيل النظر بها. وأجفلت من نظراته، ووضعت السيجارة في فمها، وقبل أن تشعل القداحة، مد ذراعه الطويلة عبر الطاولة واختطف السيجارة من بين شفتيها.

وصرخت به قائلة بغضب وهو يكسر السيجارة بين أصابعه:

ـ لِمَ فعلت هذا؟

فقال ببرود وهو ينظر إليها بنفور ويتابع تكسير السيجارة ويلقيها في المنفضة «لم تسأليني إذا كنت تستطيعين التدخين فأنا لا أفضل أن أتناول طعامي وقد أفسده رائحة التبغ من شخص آخر».

ـ في هذه الحال، يمكنك أن تأكل لوحدك.

واندفعت بغضب لتقف. فأمرها والوعيد يبرق من سواد عينيه «اجلسي» فردت عليه «لا لن أفعل».

ـ اذا تجرأت أن تخطي خطوة واحدة عن الطاولة، سأمسك بك وأجرك كي تعودي. ولا تظني أن هذا مجرد تهديد. لقد افتعلت فضائح في امكنة عامة أكثر من أن تعد. فاجلسي الآن وحسّني من تصرفاتك.

لم يتحدث أحد مع كيلي هكذا طوال حياتها. فوالدها يحبها ووالدتها تحنو عليها. وأخوها الصغير يعبدها، ولم يتهجم أحد عليها من العائلة من قبل. كانت دائماً تنفذ ما تريده، وهكذا وللحظات

ارتعشت، وهي تنظر اليه. ورد عليها بنظرة باردة، ووجهه جامد كالصخر، وفمه مطبق بإحكام، ويداه مفرودتان على الطاولة، باستعداد لأن يقف.

وفجأة حضر الساقي الشاب يحمل الصينية على كتفه وقال لها مازحاً بانكليزيته المتكسرة: «لم تعودي قادرة على الصبر، مدام لقد تأخرت في التقاط الفطر. ولكن ها هي أخيراً، طبق عجة للملائكة أن تأكله.. هم.. لذيذ جداً!».

ووضع الطبق أمامها، وزاد جوعها لمنظر ورائحة طبق العجة الذهبي. وعادت تجلس إلى مقعدها ثانية. وشعرت بأن كل اوصالها ترتجف وبرغبة غير عادية للانفجار بالبكاء، لأنها لأول مرة في حياتها تضطر للإذعان لتهديد رجل. ووضع الساقي طبقاً أمام نيقولاس وانسحب. وبصمت أخذت كيلي الشوكة والسكين وبدأت تأكل.

ثم قالت بعد برهة دون أن ترفع نظرها:

ـ أعتقد أنك شخص شرس. ولأنك يوناني بغالبية طبعك تنظر إلى النساء وكأنهن أدنى منك يجب دائماً ايقافهن عند حدهن.

ـ يتضح لي أن دايڤيد لم يضربك أبداً وأنت صغيرة.

ـ بالطبع لا. كان أكثر لطافة وتسامحاً من أن يستخدم العقاب الجسدي.

ـ هه... لقد كان متساهلاً، واعتقد أن هذا ما أوصله إلى هذه الصعوبات المالية. كيف تجدين العجة؟

ـ جيدة جداً.. شكراً.. ماذا تأكل؟

ـ تيروبيتا.. إنها نوع من فطائر الجبن. هل تذوقت هذا الشراب الجديد؟

ولم تكن قد تذوقت هذا الشراب الذي أتى به الساقي وارتشفت

قليلاً لتجده فواراً ولذيذاً. وقال نيقولاس:

ـ لقد قيل لي إن الأنكليز يحبونه كثيراً، أسمه «ثيوتوكيس» ويصنع في جزيرة «كورفا» هل أعجبك؟

ـ أجل.. قل لي.. لماذا أقرضت دايفيد هذه الكمية من المال؟ أكنت تأمل أن تستولي على حصصه في الميلتون يوماً ما؟

ـ لقد أقرضته المبلغ لأخلّصه من ورطة أوقع نفسه بها كادت تودي به إلى الافلاس.

ـ ومتى جرى ذلك؟

ـ منذ ست سنوات، وكنا في نيويورك في ذلك الوقت. وكان يبحث عن شركة أميركية تمول مشروع الميلتون. ولم يكن قد لاقى نجاحاً، وهكذا عرضت عليه الدعم.

ووضع الشوكة والسكين في طبقه الفارغ وتابع:

ـ أصحيح أنه لم يخبرك بهذا أبداً؟

ـ أجل، صحيح.

ـ أعتقد أنه منذ ست سنوات شعر بأنك صغيرة جداً لتعرفي هذه الأمور. عندما قابلته أول مرة كنت أنت في التاسعة من عمرك، كما أعتقد، وكنت أنا في الواحدة والعشرين. وأذكر أنه كان فخوراً بك وأراني صورتك. حتى في ذلك السن كنت جميلة، بشرتك كالمرمر وشعرك كالذهب.

نظرته البادية الإعجاب كان لها تأثير مدمر عليها. وشعرت برغبة جامحة لأن تميل عليه، وأن تمد يدها وتحس بيديه حول يدها. وسألته:

ـ أين التقيت به.. أعني أول مرة؟

ـ في منزل عالم آثار، كان قد قام باكتشافات هامة في جزيرة سكيوس التي يملكها والدي حيث يعيش الآن. كان العالم قد ألّف كتاباً عن بعض اكتشافاته وحضر دايفيد إلى هناك لبحث أمر نشر الكتاب. وأثناء وجودنا هناك أعطاني دايفيد نصيحة جيدة عملت بها.. لم أنس أبداً الطريقة التي تحدث بها معي لقد انقذني من أن أبدو مغفلاً.

وتعجبت كيلي. حتى الآن لم يبدو عليه أنه من النوع الذي قد يجعل من نفسه مغفلاً فسألته «نصائح حول ماذا؟» فأجاب «حول النساء».

تعبيراته كانت ساخرة، ثم رفع كتفاه باستخفاف وتابع «ولكن هذا تاريخ قديم، من الأفضل نسيانه. كل ما يهمني أن دايفيد أفادني مرة، وهكذا عندما احتاج إلى مساعدة كنت مسروراً جداً لإقراضه المال».

ـ لقاء ثمن بالطبع. لا يمكن لأحد أن يتوقع من ابن باولوس ديتريوس أن يقرض المال دون المطالبة بنوع من التأمين أولاً.

وتجاهلت باستخفاف الضيق الذي برز في عينيه واستمرت:

ـ مسكين يا أبي.. لا بد أنه كان يائساً حتى وافق على شروطك، ايها... ايها الجشع!

ـ أنت سافلة وقحة؟ أليس كذلك؟

الإهانة التي تفوه بها بنعومة هزتها من مقعدها، فردت عليه بعنف.

ـ أنا لست كذلك.

ـ بل أنت كذلك بالتأكيد. لقد قررت رأيك حولي، ولا شيء أقوله قد يغير هذا الرأي، لذا فمن الأفضل أن أوفر كلامي.

وأزاح الطبق من أمامه وانحنى على الطاولة وذراعاه عليها وقال:

www.elromancia.com

ـ والآن، لنتكلم عن العمل ونعتبر الوضع كما هو عليه. من المبلغ الذي استدانه مني لا يزال مديناً بمبلغ مائتا الف جنيه. صحيح؟

وهكذا، وحسب شروط الانفاق الذي وقعته، وحسب إصراره على أن أضيف، في حال وفاته أو عدم قدرته على الدفع، أستولي ليس فقط على المنزل الذي تعيش فيه والدتك، بل على شركة النشر برمتها، وبهذا أحرمك وأمك وأخوك من الميراث، صحيح مرة أخرى؟

ـ إلا إذا استطعت تدبير الأمر. إلا إذا كان هناك طريقة ما لتجنب حدوث هذا.

ـ وهل تعنين ما تقولينه؟

ـ بكل جدية، أعنيه. سأفعل أي شيء لأمنعك من الأستيلاء على كل شيء من أمي ومن أخي.

وارتاحت الخطوط المتشددة حول فمه، وزالت النظرة الباردة من عينيه، بينما جالت نظراته بإعجاب فيها مرة ثانية. ثم تمتم.

ـ هناك طريقة.

ووجدت نفسها تفكر بفمه، لقد حيرها شكله الذي يتغير حسب ما يفكر أو يشعر به. حالياً منحنيات فمه كانت حساسة بكل وضوح فيها بعض المرح، مع أنه منذ لحظات كانت شفتاه مضمومتان بالغضب... يا الهي بماذا تفكر؟ لا بد أنها جنّت.. واستوت في جلستها وقالت:

ـ وما هي الطريقة؟

ـ قد نتوصل أنت وأنا إلى اتفاق جديد.

ـ أي نوع من الاتفاق.

وشعرت بالحذر، وقد قرأت عن علاقاته بالنساء. وبدأ نبض الدم يضرب اذنيها. لو طلب منها أن تصبح عشيقته سترمي الأطباق في وجهه، أقسمت على ذلك، ومن ثم ستتركه وتذهب.

ـ إذا وافقت على الزواج مني لن أطالب بدفع المائتي الف المتبقية لي ولن أخرج أمك من منزلها ولن أستولي على حصة دايفيد في الميلتون. والتي بحق الإرث ستنقسم بين أمك وأخيك.

وحدقت كيلي به، وقد فغرت فاها قليلاً. ونسيت تماماً نيتها في قذف الصحون في وجهه وقالت بصوت خفيض أجش:

ـ لا يمكن ان تكون جاداً!

ـ انا جاد في ما أقول. مالك لقواي العقلية أيضاً، في حال شككت بسلامة عقلي. وليس هذا الاقتراح وليد اللحظة يا كيلي. إنها الوسيلة الوحيدة امامك لإبقاء مؤسسة النشر في عائلة ميلتون. مالي أنقذ المؤسسة منذ سنوات. وأنا أملك مبلغاً معيناً لا أزال أستثمره فيها، وأرغب في ان أتركه كما هو شرط أن أحصل على بعض الأرباح، وبكونك زوجتي ستكون هذه أرباحي.

مقابل دينه. وشعرت على الفور بقوة جاذبيته. إذا تزوجته ستحصل على كل شيء تتمناه المرأة.. المال، والجاه، حتى نوع معين من السلطة. الأمر مغري جداً. هل تستطيع فعل هذا؟ وسألته بحذر:

ـ هل تزوجت من قبل؟

ـ لا، وأنت.

ـ لا... لقد كنت أنوي الزواج منذ سنتين.. ولكنه قتل.. حادث سيارة أيضاً. أكره السيارات. اثنان ممن أحبهم أكثر من أي شيء في العالم قتلا بحادث سيارة...

وانهارت، وارتفعت يدها إلى فمها. ومالت إلى البكاء، وشعرت

بالجدران تنقض فوقها، وأحست بالثريات تتراقص عاليا في وسط شعلة زرقاء يتوسطها لهيب أصفر. فوق كل هذا رأت وجهاً شيطانياً له عينان سوداوان مشعتان تراقبانها. ووقفت على قدميها واعتذرت للذهاب إلى حمام النساء.

وعبر الطاولات سارت. تترنح بينها في طريقها إلى باب المطعم واستطاعت أن تسمع صوتاً من خلفها يناديها باسمها، ولكنها استمرت في طريقها وهي مصممة على الخروج، فبعض الهواء النقي قد يجعلها تستفيق.

وخرجت من الباب. ولفحها الهواء البارد على كتفيها وذراعيها العاريتين، وبدلاً من أن يجعلها تستفيق أصابها بالدوار. وشعرت بشيء ناعم يتساقط، ويكسو بشرتها كالريش. إنه الثلج، السماء تثلج وهي قد خرجت دون عباءتها. ومن الأفضل ان تعود لتأخذها. واستدارت فاصطدمت بشيء ما وأحست أن شيئاً ضرب رأسها ثم ترنحت وهي تهبط، وضاعت في دوامة اللاوعي.

٢ ـ هل انتصرت؟

استفاقت كيلي على صوت باب يقفل. وفتحت عينيها، ورأت نوافذ طويلة تقسمها قطع من الخشب إلى مربعات زجاجية. وعبر الزجاج رأت الشمس، كانت كرة نارية معلقة في السماء، تحجبها سحابات زهرية خلف جذع شجرة بني غامق دون أوراق.

وأغمضت عينيها ثانية، وتقلبت في الفراش، وهي تتمطى بكسل، وتمرغ رأسها على وسادة ناعمة. وشعرت بالارتياح بطريقة لم تشعر بها من قبل. شعرت أنها تطير فوق غيوم ذات ريش... ريش؟ وانثنت جبهتها بتقطيبة حادة. متى أحست بالريش يتساقط على وجهها وكتفيها؟... الليلة الماضية، كانت السماء تمطر ثلجاً عندما خرجت من المطعم اليوناني حيث كانت تتناول الطعام مع الشيطان.

وبحركة واحدة استدارت وجلست، لتحدق في النافذة من جديد. النافذة حيث تسكن لا تطل على الشرق، ولا تطل كذلك لا على الجنوب ولا على الغرب، إنها تواجه الشمال، ولذا فهي لا ترى الشمس طوال النهار.

والغرفة التي تنام فيها عند صديقتها بليندا ليس فيها نافذة كهذه التي تنظر عبرها الآن، ولا يوجد كذلك شجرة في الخارج. إنها في

www.liilas.com

غرفة لم تشاهدها من قبل، غرفة مفروشة بأثاث فاخر ولها ستائر طويلة من المخمل الأخضر، وهي مستلقية على فراش مزدوج كبير تحت غطاء حريري.

أين هي؟ وكيف وصلت إلى هنا؟ واستلقت على الوسادة، وراقبت الشمس وهي تغير الألوان ببطء، وتتحول من الحمرة القانية إلى البرتقالي والسحب الخفيفة تتحول من الزهري إلى الازرق الفاتح الرمادي. كانت تشعر بألم خفيف في مؤخرة رأسها، وعلى الرغم من شعورها بالراحة والاسترخاء، إلا أن هناك بعض الجفاف في فمها وارتجاف غامض وراء عينيها.

وببطء، وكأنها خائفة مما ستجد تحته، رفعت الغطاء. كانت ترتدي سترة بيجاما كحلية، إنها بيجاما لرجل، مصنوعة من قماش حريري وتغطيها حتى ركبتيها. وأرجعت الغطاء إلى مكانه ونظرت حولها ثانية.

الأثاث أنيق، وعلى أحدث طراز، وهناك طاولة زينة لها ثلاث مرايا، وخزانة جوارير، وخزانة ملابس ضخمة لها باب عليه مرآة طويلة، والغرفة مرتبة جداً، ولا يوجد أي ملابس مرمية فوق الكرسي. وعادت نظراتها إلى السرير لتتركز على قطعتين من الحرير الاسود، ثم انزلقت بعيدة عنهما إلى الوسادة التي بقربها. واحست بفمها يزداد جفافاً، عندما رأت علامات عليها لا يمكن أن يتسبب بها سوى رأس كان يستلقي عليها.

ودبّ الذعر في جسدها بحدة، مدمراً الشعور بالراحة اللذيذة في أطرافها. وجلست مرة أخرى ومدت يدها إلى قطع الحرير الأسود. وكما توقعت كانتا قطعتي بيجاما رجالية. تحت ياقة السترة كان هناك

شريط صغير يحمل اسم صانعها. وتحت الاسم اسم آخر: ن. ديتريوس.

وحدقت كيلي بالاسم. إذاً هي لا تحلم. لقد نامت ليلة أمس مع نيقولاس ديتريوس. وجعلتها دقة على الباب تجفل. ودست البيجاما السوداء تحت الغطاء. وانزلقت تحته وانتظرت. وجاءت الدقة مرة ثانية ولم تجب ولكنها راقبت الباب وهو يفتح ببطء، ودخلت امرأة نحيلة في أواسط عمرها، شعرها رمادي وترتدي ثوباً خمرياً انيقاً. وكانت تحمل صينية عليها طقم شاي فضي وكوب صيني مع صحنه. ووضعت الصينية على طاولة قرب السرير ونظرت إلى كيلي، التي تظاهرت بأنها استفاقت من النوم.

ـ صباح الخير يا آنسة.

تحدثت المرأة بلهجة اسكتلندية واضحة وتابعت:

ـ ارجو ان تكوني الآن أفضل. لقد قال لي السيد ديتريوس أن اجلب لك بعض الشاي وأسألك إذا كنت تريدين الإفطار. لقد قال إنك كنت تعانين من ألم في معدتك الليلة الماضية، ربما يكون بسبب بيض فاسد؟

ـ لا... لا... شكراً لك... ليس الآن على الأقل. سأتناول الشاي فقط... هل هو... أعني أين السيد ديتريوس؟

ـ إنه في الأسفل في مكتب السير آرثر، إنه يجري بعض المكالمات الهاتفية.

وقطبت المرأة جبينها قليلاً وقد لاحظت شحوب وجه كيلي وتابعت تقول:

ـ أمتأكدة أنك لا ترغبين في بعض الخبز المحمص مع الزبدة؟ أنت تبدين شاحبة وضعيفة جداً. وقد تستقر معدتك إذا تناولت شيئاً خفيفاً.

وهمست كيلي «حسناً، هذا يبدو جيداً جداً» وأحنت المرأة رأسها وابتسمت لها قبل أن تغادر الغرفة.

عندما أغلق الباب، جلست كيلي واتجهت إلى حافة السرير وانحنت على الطاولة، وأخذت ابريق الشاي. وصبت قليلاً منه واخذت الفنجان وارتشفت قليلاً من السائل الساخن. وأمسكت الكوب بين يديها ومالت إلى الخلف وأسندت رأسها على حافة السرير.

وبدأت تتذكر كل ما حصل معها: عندما غادرت المطعم، انهارت في الشارع، وعندما استفاقت كانت في سيارة تجلس بقرب نيقولاس، الذي كان يقود السيارة. وأرادت أن تسأله إلى أين يأخذها، ولكن ألم رأسها لم يمكنها من الكلام.

وتوقفت السيارة وخرج منها نيقولاس ليفتح لها الباب ويساعدها على الخروج، وذراعاه من حولها ليسندها. وقادها عبر باب إلى ردهة كبيرة، وعندما حاول أن يجعلها تصعد السلالم رفضت، فحملها بين ذراعيه.

وشعرت بالسعادة لأنه يحملها فقد كانت ذراعاه قويتان، وألقت رأسها على كتفه ولفت ذراعاها حوله وشعرت بأنها هكذا أفضل حالاً. واخذها الى غرفة وأوقفها على رجليها ولكنها ترنحت ثم وقعت عليه. وقالت متمتمة «أشعر بالغثيان» وما تتذكره فيما بعد أنها كانت في الحمام وهي تشعر بأنها مريضة.

وبعد ان تقيأت شعرت بالإرهاق لدرجة أنها لم تقاوم نيقولاس عندما ساعدها على خلع ثيابها وألبسها سترة البيجاما، وحملها إلى السرير الواسع وألقاها عليه وغطاها. وشعرت بالبؤس والوحدة حتى أنه عندما تركها أخذت تبكي وتناديه ليبقى معها، ولم تعترض عندما تسلق

السرير واستلقى الى جانبها. وبعد ذلك استغرقت في النوم.

كانت دائماً تحلم ببول، خطيبها المتوفي، كانت تشعر به إلى جانبها في السرير وعندما تمد يدها اليه يختفي، وتستيقظ وهي تشعر بالبرد والحزن. في الليلة الماضية كان الأمر مختلفاً فعندما حلمت به، وهمست باسمه رد عليها صوت كان يخفي الضحك وقال «اسمي نيقولاس وليس بول».

ولم تصدق كيلي، كانت لا تزال نصف حالمة واستدارت، لتجد أن يدها قد لمست نعومة الحرير فوق جسد دافىء. وهمس لها الصوت:

ـ اذا كنت ستقومين بهذه الحركات سأضطر إلى تركك.

ـ لا... لا.. أرجوك لا تتركني... أرجوك ابقى. ضمني وابقني دافئة. لا تذهب!

توقعت ان يختفي كما كان يفعل دائماً ولكن بدلاً من ذلك تحرك وضمها بين ذراعيه الدافئتين. واستفاقت مذعورة وعرفت من هو. وسألته:

ـ ماذا تفعل هنا؟

ولكنها لم تتحرك، فقد كانت تشعر بالدفء والراحة، وأجابها:

ـ لقد طلبت مني أن أبقى معك.

ـ هل كنت جاداً عندما قلت إنني إذا تزوجتك فلن تأخذ كل شيء منا؟

ـ عنيت كل كلمة قلتها.

ـ ولماذا تريد الزواج مني؟

ـ لأنني أحب شكلك.

ـ هذا ليس سبباً كافياً للزواج.

ـ والآن هل تتزوجيني؟

ـ اوه... أجل.. أجل... سأتزوجك.

وانهمرت دموع الراحة من عينيها.

واهتز كوب الشاي في يد كيلي ووقعت بضع نقاط من الشاي على الغطاء. ورفعت الكوب إلى شفتيها وشربت، ثم وضعته على الصحن وخرجت من السرير وسارت إلى النافذة. كانت تطل على حديقة محاطة بجدار مبني من الآجر، المشهور في لندن، وكان مغطى بطبقة خفيفة من الثلج، أخذت تذوب تحت أشعة الشمس. الشجرة التي شاهدتها كانت شجرة دردار، واحدة من بضع شجرات نجت من المرض، في حديقة إلى جانب الجدار الأخر استطاعت ان تميزها، إنها جزء من حديقة «هايد بارك».

وسمعت قرعاً على الباب ودخلت المرأة الرمادية الشعر. تحمل طبقاً من «التوست» في يد وعلى الأخرى ثوب نسائي.

ـ ها.. لقد تحسنت صحتك. لقد جلبت لك ثوباً من أثواب سيدتي. ووضعت الثوب الحريري الأحمر البراق على الفراش ووضعت الطبق على الصينية وتابعت قولها:

ـ سيناسبك هذا تماماً. لقد قال السيد ديتريوس إن حقائبك ستتأخر وإنك لا تملكين سوى الثوب الذي اتيت به الليلة الماضية. اخشى أنه يجب إرسال ثوبك إلى التنظيف. هل هناك شيء آخر أقدمه لك؟

ـ لا.. ولكن.. هل بإمكانك أن تقولي للسيد ديتريوس أن يصعد إلى هنا؟

ـ لا يمكنني الآن، لقد خرج إلى المدينة. وقال لي أن أخبرك أنه سيعود حوالي الساعة الحادية عشر والنصف، ثم سيأخذك إلى الغداء... هذا إذا وصلت ثيابك في هذا الوقت.

ـ أوه... هل تخبريني بعنوان هذا البيت؟ الاحظ أنه قرب الحديقة. ولكنني غير متأكدة من رقم الشارع وأرغب في أن اطلب من صديقة لي أن تزورني هنا.

ـ إنه منزل السير آرثر ويمسلي، في شارع «بلاكيني». والدة السيد ديتريوس متزوجة من السير آرثر. ولكن أنت تعلمين هذا.

ـ او... أنا.. أجل يا سيدة... أخشى أنني لا أعرف اسمك.

ـ استر ماكريكن. أنا مدبرة المنزل وزوجي هو الساقي. يجب أن اذهب الآن وأتابع عملي. إذا رغبت في الاتصال بصديقتك يمكنك استعمال هذا الهاتف هناك. وإذا رغبت في الاتصال بي، اضغطي على هذا الزر فقط. هل ستكونين بخير؟

ـ أجل شكراً لك.

ـ لا أستطيع الانتظار لأرى وجه الليدي عندما تعرف النبأ.

ـ أي نبأ؟

ـ أنت والسيد ديتريوس. ستندهش كثيراً لأنه سيتزوج أخيراً.

وخرجت. ووقفت كيلي لحظات وهي ساهمة تنظر إلى دفتي الباب البيضاء.

ثم التقطت طبق «التوست» المغمس بالزبدة. وصعدت إلى الفراش وأراحت جسدها على الوسائد وهي تأكل.

وقررت أن تتصل بصديقتها بليندا التي ردت عليها بعد قليل «هالو» «بليندا هذه أنا كيلي» وارتفع صوت بليندا صارخة «أخيراً! أين انت؟».

ـ في لندن، في منزل ويمسلي. هل سمعت به قبلاً؟ في شارع «بلاكيني».

ـ وماذا تفعلين هناك؟ لقد اتصل السيد كوغسويل من الميلتون منذ دقائق ليسأل لماذا لم تحضري إلى المكتب اليوم. وليلة امس اتصلت

والدتك. تريد أن تعرف إذا ما سمعت شيئاً عن.. ديتريوس... مهما كان اسمه.

ـ اسمعي يا بليندا... هل تستطيعين القدوم إلى هنا وتجلبي لي بعض الملابس؟ لقد افسدت ثوب السهرة أمس ولا أستطيع الخروج لأنني لا أملك ثياباً لألبسها.

ـ انتظري لحظة يا حبيبتي فأولادي التوأم دخلا البراد، لا تفعل هذا يا تيمي... ليزا... لا ترمي الصحو...

وانقطع الخط... ما من شك أن بليندا لديها عائلة ترعاها قبل أن تستطيع مساعدة صديقتها... أعادت السماعة... وعادت إلى تناول التوست.

ثم ذهبت إلى الحمام... وبعد وقت قصير كانت تغطس حتى كتفيها بالمياه الدافئة المعطرة بعطر الورد.

وعادت تتذكر، لقد تكلم والدها مرة عن والدة نيقولاس، وأنها كانت متزوجة من أبيه باولوس ديتريوس، وقال عنها إنها في عمر ابنته، ولا بد أنها تزوجته من أجل المال وطلقته من أجل المال.

لماذا لا تفعل كما فعلت والدته؟ لماذا لا تتزوجه هي أيضاً من أجل المال؟ ستحل مشكلة ديون والدها، وتبقى مؤسسة النشر في يد العائلة، وكذلك البيت في «ريتشموند»..

وأدركت أن عليها أن تكبت كبرياءها... وأن تقمع مُثُلَها العليا حول الحب والزواج... وهذا سيعني أن تجري مساومة مع نيقولاس عندما تراه ثانية...

يجب أن يكون هناك عقد بينهما... عقد تسجل فيه شروط معينة لتحمي مستقبلها. فنظراً لماضيه المعروف ومغامراته مع النساء، فإن إمكانية بقاءه متزوجاً منها مدى العمر بعيد الاحتمال.

بعد أن غسلت شعرها ونظفته جيداً تحت الدوش، تركت المغطس وجففت نفسها بمنشفة خضراء كبيرة. وارتدت سترة البيجاما ثانية، ووضعت فوقها روب اللايدي ويمسلي، وجففت شعرها بمجفف كهربائي وجدته في الخزانة، ثم مشطته إلى ضفيرتين تتدلى كل ضفيرة على أحد كتفيها. وعادت إلى غرفة النوم.

وفتشت عن حقيبة يدها فلم تجدها فذهبت وضغطت على زر الخدم ثم توجهت إلى النافذة لتنظر الى الخارج. في السماء الزرقاء كان هناك غيوم خفيفة تتسابق مع الريح والثلج في الحديقة قد ذاب تماماً. كان يوماً مشرقاً نسماته خفيفة، فيه لمحة من الربيع مع دفء الشمس الذهبية.

وكالعادة قرعت السيدة ماكراكن الباب قبل أن تفتحه وتدخل.

وسألتها كيلي «هل شاهدتِ حقيبة يدي. إنها سوداء جلدية، وليست كبيرة، ولها مشبك مذهب. لقد فتشت عنها في كل مكان».

ـ وأنا ايضاً لم أشاهدها. ربما تركتيها في سيارة السيد ديتريوس.

ـ بالطبع... ربما تكون هناك.

وشعرت كيلي بالارتياح. وراقبت مدبرة المنزل وهي تأخذ صينية الإفطار وقالت لها «كان التوست والشاي لذيذين.. شكراً لك».

وانحنت السيد ماكراكن بطريقتها المحببة، وخرجت من الباب تحمل الصينية. وذهبت كيلي إلى طاولة الزينة لتلقي نظرة على نفسها في المرآة العريضة. دون حقيبة يدها لن تستطيع وضع «المكياج» على وجهها. في المرآة كانت تبدو سيدة شابة، بوجه بيضاوي مكتمل، بأهداب طويلة فوق عينين زرقاوين قاتمتين. ضفائرها جعلتها تبدو أصغر سناً. أقل بكثير من ثلاث وعشرين سنة.

عندما كانت في التاسعة من عمرها، كان نيقولاس في الواحدة

والعشرين وكان يبدو أحمقاً مع النساء. وهذا يعني أنه كان مجرباً في ذلك العمر. وبول لا يكبرها سوى بستة أشهر وكانت تعرفه منذ الطفولة. لو أنه بقي حياً لكانا تزوجا منذ سنتين. وربما كانت قد أصبحت أماً الآن. ولكنه قتل أثناء ذهابه إلى حفلة زفافهما، ومنذ ذلك الوقت، لم تعد إلى طبيعتها ثانية.

وعضت على شفتيها، وذهبت لتقف أمام النافذة، دون حقيبة اليد يعني أنها دون سجائر، أي دون تنشق التبغ لتريح أعصابها المتوترة. وأحست بالحاجة لأن تكلم احداً. وأسرعت الى حافة السرير، والتقطت سماعة الهاتف واتصلت بصديقتها بليندا، التي سارعت إلى القول:

ـ شكراً للسماء لأنك عاودت الاتصال. لقد حاولت الاتصال بك ووجدت الرقم في الدليل، ولكن المرأة التي ردّت عليّ قالت إنه لا يوجد أحد هنا باسم الآنسة ميلتون... بل السيدة... ديتريوس..

ـ هل كانت لهجتها اسكتلندية؟

ـ أجل وقالت إنها مدبرة المنزل. كيلي ماذا تفعلين في ذلك المنزل؟

ـ حسناً، لقد تناولت لتوي طعام الإفطار في السرير.

ـ اوه... عرفت. إنه امر غاية في السرية، ولا تستطيعين إخباري. لقد فهمت الإشارات. كم أنت محظوظة، لقد تناولت إفطارك في السرير بينما انا أركض مرهقة وراء هذين الصغيرين. اسمعي يا حبيبتي بالنسبة لملابسك لا أستطيع أن أحضرها لك، لأن السيارة ليست معي.

ـ تستطيعين القدوم بالقطار.

ـ وماذا أفعل بالتوأمين؟ أحضرهما معي.. لا وحياتك!

ـ الا تستطيعين تركهما مع جارتك؟

ـ لقد خرجت. ألا تستطيعين استعارة بعض الملابس وتأتي إلى هنا لتأخذي ملابسك؟

وأحست بمقبض الباب يتحرك ثم فتح الباب وظهر نيقولاس حاملاً علبتين للثياب يحملان اسم محل فاخر للأزياء. وراقبته كيلي وهو يغلق الباب بقدمه ويتقدم نحو السرير.

ـ كيلي... ألا زلت معي؟ هل سمعت ما قلته لك؟

ـ نعم، لقد سمعت. كل شيء على ما يرام، أظن أنني سأفعل ما قلتيه لي. عليّ أن أذهب الآن. سأراك فيما بعد.

واعادت السماعة إلى مكانها. ووضع نيقولاس العلبتان على السرير. واستدار واعطاها حقيبتها.

ـ اذاً لقد كانت في سيارتك.

وأخذتها منه وفتحتها فوراً لتأخذ سكائرها والولاعة «لقد خشيت أنني قد أضعتها» ووضعت سيجارة بين شفتيها وأشعلت الولاعة. فقال لها بصوت بارد حاد «افضل أن لا تدخني هنا، في الواقع أفضل أن لا تدخني أبداً».

وأشعلت كيلي السيكارة وأخذت منها نفساً عميقاً، ثم أخرجت الدخان من بين شفتيها وهي تعيد إليه نظرته الباردة. عيناه كانتا كالثلج الأسود. انحناءة شفته العليا تبرز الاشمئزاز. لم يكن يبدو عليه الدفء او اللطف هذا الصباح. كان يبدو على حقيقته، يوناني جلف مساوم عينه على الفرص المهمة، رجل سيكون من الصعب هزمه بسبب بسيط هو انه لن يترك نفسه في موقف الضعف أبداً.

ـ أنا لا أدخن كثيراً، عندما أكون عصبية فقط.

ـ وهل أنت عصبية الآن؟

وارتفع حاجباه الرقيقان إلى الأعلى بإشارة عدم تصديق بينما حدق بالروب الأحمر الغامق الذي ترتديه.

ـ أجل.. انا عصبية. ألا تكون عصبياً اذا أفقت لتجد نفسك في غرفة نوم غريبة في منزل غريب دون ملابس؟

ـ أصبح لديك ملابس الآن.

واشار بلطف إلى العلبتين «لقد اشتريت لك بعضها».

ـ ما كان يجب عليك أن تفعل...

ـ أعرف هذا. ولكنني رغبت في ذلك. والآن أريد أن أرى إذا كانت تناسبك. لقد أخذت المقاس من ثوبك.

وهو يقف هناك، وظهره لنور الشمس المتدفق من النافذة، بدا أطول مما كان عليه الليلة الماضية، ورجلاه أطول مما لاحظته من قبل. بذلته من الصوف الانكليزي الممتاز بلون رمادي غامق، بتفصيلة ممتازة. السترة مناسبة تماماً على كتفيه العريضين. ويديه في جيوبه، يقف عالياً فوقها مثل أمير الظلام، كما تخيلته في الليلة الماضية.

ـ كيف تشعرين هذا الصباح... إضافة لكونك مضطربة؟

ـ أفضل بكثير، شكراً لك.

وأخذت نفساً من سيجارتها، وحدقت به.

ـ أظن انك دفعتني إلى فقدان أعصابي.

ـ صحيح؟ ولماذا أفعل؟

ـ لتجعلني تحت سيطرتك.

وأرجع رأسه الى الوراء وانفجر ضاحكاً، ولمعت أسنانه القوية البيضاء في وجهه الاسمر. وقال وهو يهز رأسه:

ـ انت مذهلة. ولك مخيلة ناشطة. ولكنك مخطئة. لقد ظننتك أصلب وأكثر خبرة. ولم أعتقد أن فقدان أعصابك قد يؤثر عليك

هكذا. اخبريني ماذا تتذكرين من أحداث ليلة أمس؟

ـ أذكر أنني شعرت بشيء غريب في المطعم وكان عليّ أن أخرج. ظننت أن الهواء قد يفيدني، ولكنه لم يفعل. أظن أنني اصطدمت بشيء ما.

ـ بشخص ما، لقد ضربك على رأسك وسرق حقيبة يدك. ولاحقته وقبضت عليه. وأمضى الليلة في سجن البوليس. ويريد البوليس أن يعرف ما إذا كنت ستقيمين دعوى عليه.

ـ لا بد أنك عدّاء سريع.

ـ ليس كما مضى... هل تتذكرين وصولك الى هنا؟

ـ قليلاً. أتذكر أنك ساعدتني على خلع ملابسي ووضعتني في السرير.

ـ ولا شيء آخر؟

وأخذت آخر نفس في سيكارتها، وتطلعت حولها لتجد شيئاً تطفئها عليه. واستدار نيقولاس وذهب الى الطاولة وأخذ صحناً صينياً وأعطاها إياه «خذي استعملي هذا».

ـ أتذكر أنني نمت مباشرة. أعلم أنني نمت لأنني حلمت حلماً مجنوناً.

ـ حول شخص يدعى بول؟ من هو؟

ـ إنه... كنت سأتزوجه فيما مضى.

وقفزت واقفة، وهي لا تريد أن تبقى إلى جانبه، وسارت نحو النافذة لقد اختفى الأن كل الثلج عن الأرض، وأصبح مكانها بقع ماء كانت تعكس زرقة السماء.

وسألها «هل هو من مات في حادثة سيارة؟» وأجابته «نعم.. لماذا أتيت بي إلى هذا المنزل»؟

www.elromancia.com

ـ كنت مريضة وتلقيت ضربة على رأسك، كانت غلطتي. ولم استطع التخلي عنك في وسط شوارع لندن، ولم يكن لدي فكرة أين تسكنين، لذا اتيت بك إلى هنا، إلى المنزل حيث أسكن عندما أكون هنا وحيث أستطيع العناية بك.

ـ ما كان عليك ان تأتي بي إلى غرفة نومك.

ـ لقد فعلت هذا لأنني لم أرد ازعاج السيدة ماكريكن بتحضير غرفة أخرى لك. كذلك اعتقدت أنك لا تريدينها ان تراك في تلك الحالة.

ـ وما كان عليك ان تبقى هنا معي كذلك.

ـ أوافق معك.. ما كان يجب أن أفعل. ولكنني كنت أرغب وطلبت مني ان أبقى معك، وأنا لست من النوع الذي يرفض دعوة كهذه من امرأة جذابة مثلك.

واستدارت كيلي لتنظر إليه عبر الغرفة، حيث لا يزال جالساً على حافة السرير. ويداه في جيوب بنطلونه، وساقاه ممدوتان إلى الامام. وابتسم لها وقال بنعومة «لم يكن الامر حلماً يا كيلي، لقد حدث هذا فعلاً، لقد استدرت إليّ لطلب الراحة، ولكن...» وأخرج يديه من جيوبه ومدهما بإشارة غريبة وهو يهز كتفيه.

وحدقت به للحظات، وذهنها مليء بالذكريات، ثم استدارت الى النافذة.

ـ اظن أنك خسيس... لقد غررّت بي.

وقال لها، وهي تشعر بأنه يتقدم نحوها عبر الغرفة، باقتراب صوته:

ـ أستطيع ان أرد شتائمك. ولكنني لن أفعل.

وأحست بيديه على كتفيها. واجفلت وابتعدت عنه واستدارت لتواجهه فتمتم «لا يجب أن تتكدري. لم يحدث شيء سيء. ولم يكن هناك إغواء. أنت رغبت وأنا رغبت. وأتى الأمر طبيعياً، وأتمنى

أن يحدث هذا دائماً بعدما نتزوج. ستتزوجيني، أليس كذلك؟ انت تتذكرين أنك وافقت؟».

ـ انا... أجل اتذكر. ولكن يجب أن يكون هناك شروط معينة. أو نوع من العقد بيننا.

ولم يجب نيقولاس، واخذت تحدق به. بدا عليها وكأنه شحب، ثم صرفت عنها هذه الفكرة. في ضوء الشمس اتخذت بشرته لوناً أخف سمرة. وتقدمت نحو علبة الملابس وأزالت الأوراق عنها ورفعت الثوب من العلبة. كان مصنوعاً من الصوف الناعم، بسيط وبلوزته طويلة والتنورة مكسرة إلى ثنايا، لونه بنفس لون عيناها الزرقاوان. ودون أن تفكر، خلعت الروب وسترة البيجاما، وفتحت سحاب الثوب وارتدته وتقدمت نحو نيقولاس وأدارت ظهرها له «أرجوك اقفل السحاب» وفيما هو يقفل السحاب احتكت اصابعه قليلاً برقبتها، وأرسلت شرارة من الارتعاش في عمودها الفقري. ولكنها تجاهلت ما أحست به، وتقدمت نحو الخزانة واخذت تتأمل نفسها في المرآة.

ـ إنه جميل. وعلى مقاسي تماماً. اظن أنك معتاد على...

وتوقفت، وعبست، وتملكها شعور غريب، عندما لاحظت أن نيقولاس لا بد مرّ بنفس الأمر مع امرأة أخرى من قبل. واكمل لها كلامها:

ـ اختيار ثياب لامراءة.

ونزل عن السرير وفتح العلبة الثانية، بينما استدارت كيلي إلى المرآة ثانية لتتأمل بإعجاب الثوب الأزرق من جديد. وفغرت فاها قليلاً من الدهشة عندما رأته في المرآة خلفها يحمل معطفاً من الفرو وهو يقول:

ـ جربي هذا ايضاً.

ودفعت ذراعاها في الاكمام، وشعرت بنعومة البطانة الحرير على بشرتها، وكان من فرو «المنك» بني مذهب، وعلى أحدث طراز، يبرز جمال جسدها النحيل، وعندما ترفع ياقته العريضة تصبح اطاراً رائعاً لوجهها.

ـ إنه يبدو رائع عليك. ولكنني لا أحب هذه.. ماذا تسمينها؟ ضفائر؟ وأمسك بإحدى الضفيرتين وبدأ يفكها.

ـ تجعلك تبدين طفلة، وآخر شيء قد أرغب فيه زوجة طفلة، أو أن أتهم بخطف طفلة من المهد. ما هو نوع الشروط التي في ذهنك؟ ألا يكفي أن لا أطالب بدين دايفيد إذا تزوجتك؟

وسحبت كيلي الضفيرة من يده وبضع حركات فكّتها ثم فكّت الأخرى وحركت رأسها بقوة وانفرد شعرها على الفرو وهو يماثله في اللون. وقال:

ـ هكذا أفضل... جعلك تبدين.. مشاكسة ومدللة قليلاً.

ـ أنا لست كذلك...

وأقفلت فمها بسرعة. فلا ضرورة للدخول في جدال معه. ففي الوقت الذي بدأ يتقبل الشروط، يجب عليها أن تضغط أكثر لتستفيد. ورفعت ذقنها ونظرت اليه بثبات «عليّ أن أفكر بمستقبلي وحماية نفسي. فقد يأتي وقت، تقرر فيه أنك لا تريدني كزوجة لك بعد ذلك».

ـ لقد فهمت... انت إذاً لست أفضل من الأخريات.

ورفت رموشه، ولمعت عيناه الباردتان الشيطانيتان «أعني أن اقول كما الأب كما الابن».

ـ بالضبط...

واخذت تتساءل في نفسها لماذا تشعر بالألم لتعاملها معه هكذا.

وتفرس بها لبضع ثوان وابتعد ليستند إلى طاولة الزينة. وقال ببرود:

ـ اظن أن بمقدورك التفكير بشيء قد يكتب ضمن عقد. ستتلقين مخصصاً ضخماً خلال الزواج وطالما أستطيع تحمل دفعه. وفي حالة الطلاق سأسوي الأمر معك في حينه. هل هذا هو نوع الشروط التي تفكرين بها؟

وابتلعت ريقها بصعوبة. إنه امر فظيع، محطم للروح، ومخزي أن تناقش أمر الزواج معه بهذه الطريقة، ولكن هكذا يجب أن يتم الأمر. على كل الزواج لن يبنى على الحب، وهي لا تثق به. وأضاف وهو يفكر:

ـ ولكن هناك شروط معينة يجب ان أصر على تضمينها أي عقد بيني وبينك.

ـ وما هي؟

ـ اولاً: إذا حصل من زواجنا ولد أو أولاد، سيبقون في رعايتي إذا افترقنا أو تطلقنا. هل توافقين؟

انجاب الاولاد لم يكن ضمن خطتها. ولم يكن لديها جواب جاهز. وقال لها:

ـ لم تصلي بتفكيرك إلى هذا المدى. أليس كذلك؟

ـ لا، لم أصل.

ـ إذاً أقترح عليك أن تفكري بالأمر، لأن فرص إنجابك اطفالاً مني عالية كثيراً. فلن يكون الزواج وهمياً، إذا كان هذا ما تفكرين به. سأتوقع منك ان تكوني زوجتي بكل ما في الكلمة من معنى. تعيشين حيث أعيش و....

ـ ولكن ماذا عن عملي؟

ـ أي عمل؟

www.elromancia.com

ـ أنا أعمل مديرة تحرير في الميلتون. ولا أستطيع التخلي عن عملي. لذا يجب أن أسكن في لندن.

ـ لا مجال لذلك. إذا كنت ستتزوجيني، يجب أن تتخلي عن مجرد التفكير بالعمل وستعيشين معي إما في منزلي في أثينا أو في الڤيلا التي أملكها في جزيرة سكيوس.

وبدأت تقول «ولكن...» وصمتت، وعضت على شفتها، وبدأت افكارها تتسارع وهي تحاول إيجاد حجة مقنعة ليغيّر وجهة نظره. وقال لها بهدوء:

ـ ربما تريدين تغيير رأيك. ولكن تذكري، إذا لم توافقي على الزواج مني سآخذ منكم كل شيء قدمه لي دايفيد كضمان لمالي.

ـ ولماذا لا تحاول أنت تغيير رأيك لمرة واحدة؟

ـ عندما أقرر شيئاً، لا أتراجع عنه أبداً.

ـ حتى ولو كان هذا القرار يقود إلى الكارثة.

ـ انت لست جادة. زواجنا لن يقود إلى كارثة. ولكنك لم تجيبي على سؤالي. هل تريدين التراجع؟ هل أذهب إلى محامي والدك اليوم وأبلغهم أنني أريد امتلاك البيت والحصص، وأن يتحول كل شيء من اسم دايفيد الى اسمي؟

ـ وهل يجب عليّ ان أجيب الآن؟

ـ اجل.

مرة أخرى جال فكرها حول البدائل بسرعة، ولم تجد ما له فائدة.

ـ لا، لا أريد التراجع.

ها قد عادت إلى المقامرة ثانية، وهي واثقة من أنها ستجد طريقة لتحتال على الشروط التي أراد فرضها في النهاية. فهناك طرق ووسائل لتجنب إنجاب الأطفال. وسيسأم العيش معها مع مرور الزمن وعندها

ستصبح قادرة على العودة إلى العمل. الشيء الرئيسي الآن هو دفعه إلى توقيع العقد الذي سيتخلى بموجبه عن المطالبة بالضمان الذي قدمه والدها له. وسألته «متى نستطيع إنهاء الأمر؟».

ـ كلما كان أسرع كان افضل «لكل من يهمه الأمر». أهذا ما تفكرين به؟ هل يوافقك الاسبوع القادم؟ سيكون هناك مجال للمحامي لتحضير العقد، ووقت لاستخراج الترخيص بالزواج.. أتوافقين؟

ـ اوافق...

ـ ستتصلين بوالدتك كما أظن. ربما تريدين منها أن تحضر مراسم التوقيع.

ـ لا. أظن من الافضل أن لا تعلم بالأمر إلى ما بعد زواجنا. هل ستطلب من احد افراد عائلتك الحضور.

ـ والدي كبير في السن ولا يتحمل السفر هذه الايام ووالدتي لن تعود الى بريطانيا. اقترح ان نذهب بعد اتمام الزواج إلى سكيوس ونبقى هناك فترة لنقابل ابي وبعض الأقارب... لقد حان وقت الغداء. عندما تنهين ارتداء ملابسك انزلي الى الطابق الارضي وسنذهب لتناول الغداء في الخارج. وبعد الطعام سنذهب لمقابل المحامي بخصوص العقد.

وتحرك نحو الباب وفتحه وخرج وأقفله وراءه. واصبحت كيلي لوحدها، جلست على حافة السرير، وهي تشعر بالقلق يعتريها فجأة. لقد نجحت بعملها. لقد تساومت معه وجعلته يوافق على بعض الشروط، ويجب أن تشعر بالانتصار، والرضى عن نفسها، ولكنها عوضاً عن ذلك شعرت بإحساس غريب بالخسارة. وما خسرته لا تعرف ما هو بالضبط. كان يعتريها فقط ذلك الشعور التافه، بأنها بطريقة ما قد قلّلت من قيمتها أمام نيقولاس ديتريوس.

٣ ـ في منزل الشيطان

بدت جزيرة سكيوس، في وسط البحر الداكن العميق، تحت السماء الملوّنة بالاحمر القاني والذهب تحت أشعة الشمس، سوداء معتمة وغامضة. وفي الوقت الذي كانت تقف فيه على متن يخت باولوس ديتريوس، تستمع الى تكسر المياه تحت المركب الابيض، حافظت كيلي على تماسكها وصلابتها بحيث لا يستطيع أحد تخمين ما تفكر به عبر تعابير وجهها الباردة في تلك اللحظات.

في وقت مبكر من هذا اليوم، قامت بتغيير مجرى حياتها بتوقيعها على عقد جعل منها زوجة لرجل ثري وقوي، وهي الآن في طريقها لتقابل رجلاً ثرياً وقوياً آخر. واشتدت يداها على قضيب الحاجز أمامها، ولمع الخاتم الذهبي السميك في اصبعها، تحت ضوء الشمس. وتطلعت اليه، وهي تشعر بنوع من الألم يسري فيها. ماذا فعلت؟ لقد أصبحت زوجة نيقولاس ديتريوس، في احتفال مدني قصير. ونتيجة لذلك انقطعت عن كل شيء كانت تعرفه، غادرت بلادها واصدقاءها وفوق كل شيء قطعت روابطها العائلية.

وارتجف فم كيلي، واشتدت يداها اكثر على القضيب وهي تتذكر رد فعل امها على زواجها. فبعد مراسم الزواج اتصلت بها من منزل

ويمسلي وشرحت لها ماذا فعلت ولماذا كان عليها ان تفعله. وقالت لها أمها:

ـ كان يجب عليك ان تقولي لي هذا قبل الآن! لماذا لم تخبريني؟

ـ لأنني أعرف بأنك كنت ستحاولين منعي. وعندها كان سيأخذ كل شيء، المنزل والمؤسسة. لم أستطع تركه يفعل هذا بك وباخي. لم أستطع!

ـ ولكنني متأكدة أنه كان يوجد طريقة أخرى.

ـ لم يكن هناك طريقة أخرى. كان أمامي إما أن اتزوجه أو أخسر كل شيء، وكان مصمماً على هذا.

ـ ولكن أن تتزوجي رجلاً مثله، بالكاد تعرفينه، وبكل برودة أعصاب! كيف استطعت هذا يا كيلي؟

ـ لم يكن الأمر سهلاً. لقد وقّعنا اتفاقاً، لذا فان مستقبلي مؤمّن.

ـ كما فعلت تلك المرأة الفظيعة، والدته عندما تزوجت باولوس ديتريوس. كانت مغنية في نادٍ ليلي، ولتفعلي كما فعلت تكونين كمن يبيع نفسه. ألا تفهمين هذا يا كيلي.

ـ أرجوك يا أمي حاولي أن تفهمي، لقد فعلت هذا لأجلك ولأجل جو. لقد كتب لك المحامي رسالة يبلّغك فيها بإلغاء الدين الذي على ابي. ربما بعد أن تتغلبي على الصدمة وتشتاقي إلى صهر، قد تأتين لزيارتي في سكيوس.

ـ لا ابداً. لن آتي لزيارتك، ولا أريد مقابلة نيقولاس ديتريوس، ولا أريد رؤيتك وأنت متزوجة من هذا الرجل. كيف استطعت أن تتزوجي من أجل المال وليس من أجل الحب؟

ـ لا أعرف، ولكن هذا ما حصل. وداعاً يا امي وأرجوك... أرجوك حاولي أن تفهميني.

وخف ضجيج محرك اليخت، وتطلعت كيلي لتجد أن اليخت قد توجه نحو ميناء صغير حيث أضواء حمراء وبيضاء تتوهج. كان النور في السماء قد اختفى، وعلى ضوء الشفق برقت المياه بلون ليلكي باهت. وبدا البرج المستدير والسطح المدبب لطاحونة هواء، ثم اختفيا عن النظر، وراء جدران منهارة لحصن قديم بينما انساب اليخت بنعومة ليتجاوز مجموعة من قوارب الصيد المتعددة الألوان، التي كانت تتحرك بلطف. الأبنية كلها على شكل مربعات، متجمعة على طول رصيف الميناء وتتصاعد متعرجة إلى سفوح التلال المحيطة في سلسلة، جدرانها مطلية بالأبيض والرمادي يلّونها ذهاب آخر شعاع لنور النهار.

وانزلق اليخت الى داخل المرفأ، وجرى تبادل الضحكات والصرخات بين الرجال على متن اليخت ومن كانوا على الرصيف. وظهر نيقولاس واقترب منها، وشعرت كالعادة بتلك الرعدة على جلدها وبوقوف الشعر عند مؤخرة عنقها التي كان يسبّبها وجوده. وانزعجت لأنه قادر على التأثير بها بهذه الطريقة، فأدارت له ظهرها متعمدة، وسارت مبتعدة. خلال الأسبوع المنصرم تصرفاته كانت محيرة. بارد ومتحفظ، وبقي مبتعداً عنها وتساءلت في العديد من المرات عما إذا كان سيغير رأيه بالزواج منها، وحتى هذا الصباح كانت تتوقع أن يتراجع.

وسألها وهو يقف خلفها «هل انت مستعدة للنزول إلى الشاطىء؟».

وهزت رأسها بالإيجاب، فتابع «من هنا إذاً» وأحنى رأسه ليتفحصها عن قرب «أنت شاحبة كثيراً. هل انت تعبة؟».

ـ أنا دائماً شاحبة اللون...

وسارت نحو سلم النزول الذي وضع مكانه وتابعت:

ـ هم م... ما هذه الرائحة الجميلة! الصنوبر على ما أعتقد ولكن هناك عطر آخر.. ماذا ينمو غير الصنوبر على الجزيرة؟

ـ الزيتون، التين، والبرتقال والليمون، العنب وأزهار برية كثيرة.

وتقدم أمامها لينزل السلم ثم استدار وأمسك بيدها وهي تخطو نحو اليابسة.

كانت الاضواء تشع من النوافذ على الرصيف والموسيقى والضحكات تنبعث من باب «التافيرنا» ـ أي الخان ـ المفتوح. وكان الناس يطلون من النوافذ الأخرى يراقبون ما يجري، وصرخ رجل شيئاً بينما كان داميان يقودها نحو عربة مفتوحة يجرها حصان. فتوقف ورفع رأسه وصرخ مجاوباً. وعلى الفور سمعت شهقات سرور وبعض التصفيق وعدة أصوات أكثرها نسائية، تعطي المزيد من التعليقات.

وسألته كيلي، وهي تتمنى لو كانت تعرف اليونانية «ماذا يجري؟».

ـ أرادوا أن يعرفوا من هي المرأة ذات الرداء الفضي. وأخبرتهم بأننا تزوجنا اليوم وهم يقدّمون التهاني والترحيب لك.

ـ لم أعتقد أنه قد يكون هناك أناس آخرون على الجزيرة، فقد ظننت أن والدك يملكها.

ـ اجل إنه يملكها. ولكن ملكيته لها لا تعطيه الحق بأن يطرد الناس الذين عاشت عائلاتهم على الدوام هنا.

وساعدها على صعود العربة وجلس إلى جانبها. وأعطى امراً مقتضباً إلى السائق وبدأت العربة بالتحرك.

ـ ليس هناك سيارات في الجزيرة. والتنقل مقتصر على «الموتوسيكلات» وبعض الشاحنات لإيصال البضائع وباص واحد، وهذه العربة. ولكن بما ان المسافات قصيرة فمن الممكن قطعها سيراً

في أي اتجاه تقريباً إذا كان لديك الوقت. هل أنت دافئة بما فيه الكفاية؟

ـ أجل شكراً لك.

عندما تركوا الرصيف، اتبعت العربة خطاً قريباً من الشاطىء، تحت الأغصان المتدلية لاشجار الصنوبر، ولمع الرمل بلون فضي. فوق رأسيهما كانت النجوم تلمع في سماء أخذت تتغير الوانها من البنفسجي الى الكحلي الغامق. فالليل قد أقبل على سكيوس بسرعة وصمت.

وأطبقت يد نيقولاس الدافئة الضخمة فجأة على يد كيلي التي كانت تريحها على ركبتها.

ـ أنت لا تشعرين بالدفء.

وتحرك الى قربها ووضع ذراعه على ظهر مقعد العربة خلف كتفيها. وأضاف ساخراً:

ـ أم ربما جلدك دائماً بارد كما لونك دائماً شاحب.

كانت المرة الأولى التي يلمسها بها منذ تلك الليلة منذ أسبوع. وشعرت بحركة أصبعه الناعمة على الجلد الحساس فوق رسغها، التي ارسلت رعدة لذيذة عبر ذراعها. واشتعلت كالشعلة خلال شرايينها، ثم انتشرت بسرعة خطيرة، وهي تشعل سلسلة انفجارات في جسمها.

وخافت من طبيعتها الملتهبة، خافت من أن تتغلب على التوجه الهادىء لعقلها، فضمت يدها بقبضة، وأظافرها المدببة تحفر في راحتها وهي تفرض السيطرة على نفسها وتدريجياً سحبت يدها من تحت يده. وأصيبت بالخيبة لأن يده لم تتحرك عن ركبتها بل بقيت حيث هي، وأصابعه الطويلة تضغط قليلاً، وترسل نوعاً جديداً ومختلفاً من الرعدة في أعصاب مختلفة.

وعلى الفور حرّكت ساقها، ووضعتها فوق الأخرى، وانزلقت يده ولكن، وبينما هي تتنهد بارتياح، بدأت أصابع يده الأخرى، من وراء ظهرها، تعبث بحنايا شعرها التي تغطي مؤخرة العنق. وبحركة سريعة من رأسها وكتفيها مالت الى زاوية العربة، ووجهها إلى الناحية المقابلة تنظر الى المياه المظلمة المتلألئة. وقالت ببرود:

ـ إنها ليلة جميلة. هل الجو دائماً معتدل هكذا في مثل هذا الوقت من السنة؟

ـ الحرارة تتراوح، على ما أعتقد، بين الخمسين والسبعين فهرنهايت في شهر نيسان. والطقس هنا على الجزيرة أبرد من أمسيات أثينا.

ـ لقد لاحظت خرائب بناء. ونحن ندخل الميناء.

ـ إنه بقايا حصن قديم. لقد كان لسكيوس تاريخ مجيد في اواسط القرن الثامن عشر، ستجدين العديد من القصور القديمة هنا، بما فيها قصر أبي، لها طراز ايطالي، لأن قباطنة البحر وأصحاب السفن بنوها على يد عمال من البندقية جلبوهم إلى هنا. لا أنوي أن أبدو كدليل سياحي. هل هناك شيء آخر تريدين معرفته؟

ولم ترد كيلي. فقد كانت هذه البداية، كما اعتقدت، بداية زواجهما، وبما أنه بدأ هكذا فهل سيستمر. في وقت ما هذا المساء عليها أن توضح له ليس لأنه تزوجها يستطيع الحصول عليها متى شاء. ويجب أن تبقيه على مسافة منها، ومتى حاول أن يلمسها يجب عليها أن تبتعد، وأن لا تظهر له تجاوباً ابداً، وبالتدريج سيتركها وشأنها، وربما يذهب إلى امرأة أخرى. وعندما يفعل يصبح لديها عذر لطلب الطلاق، بعد حوالي سنة من الآن...

ـ «آخ» صرخة الألم التي أطلقتها كانت لا إرادية وهو يمسك

بخصلة من شعرها ويجذبها بحدة، وأدارت رأسها لتحتج، فهاجمها بسرعة وثبتها إلى المقعد حتى شعرت برفاص مكسور في المقعد يغرز فيها، وبيده الأخرى أمسك ذقنها ورفع وجهها إليه.

وشعرت بالاهانة لهذه الطريقة في معاملتها، وأرادت أن تقاومه أن تضربه بقبضتيها، أن تجرح وجنتيه بأظافرها. ولكن حاسة ما حذرتها من أن تتصرف بهذه الطريقة التي قد تثير غضبه وتدفعه إلى تصرف غاضب. لذا بقيت هادئة، لا متجاوبة ولا رافضة، وبالتدريج، أفلتها. وسألها بنعومة، ولكن دون ان يبتعد عنها «ما بك؟» وأجابته ببرود «لا شيء» وترك ذقنها وشعرت بأصابعه تتلمس وجهها وقال «لا أصدقك، انت شاحبة، وباردة ولم تتكلمي طول النهار».

ـ وأنت ايضاً لم تتكلم.

ـ هذا لأن فكري كان مشغولاً بأشياء كثيرة.

وامام ارتياحها ابتعد عنها، وتحركت مبتعدة عن الرفاص المكسور في زاوية العربة وسألته:

ـ هل هي مشاكل عمل؟

ـ أجل.. على الأرجح سأضطر للسفر إلى نيويورك غداً. كان يجب أن أذهب اليوم، ولكنني وعدت أن آتي بك للقاء والدي. هل تمانعين بقضاء بضعة أيام لوحدك؟ اؤكد لك أن تينا، مدبرة منزلي ستعتني بك جيداً. سأعود يوم الجمعة.

ـ هل انت متأكد بأنك لا تريدني معك في نيويورك؟

ـ هل ترغبين في الذهاب.

ـ لا ليس فعلاً.

ـ ظننت أنك ترغبين في الذهاب.

حوافر الحصان كانت تضرب الطريق برتابة، وصوت الأمواج تتكسر

على الرمال، والنسيم يئن بين أغصان الصنوبر. ولكن في داخل العربة كان الصمت مخيماً، صمت متوتر بين شخصين بينهما معركة أبدية، معركة بين جنسين.

وقال سائق العربة شيئاً للحصان واستدارت العربة إلى طريق فرعي. وبدت أضواء لامعة أمامهم، وبدأت أشكال المنازل المربعة تختفي وراء الأشجار. وتوقفت العربة أمام ثلاثة قناطر، مضاءة بمصابيح معلقة على الأعمدة.

وفتح الباب، وخرج المزيد من الضوء إلى الظلمة المعطرة بالصنوبر ونادت امرأة باليونانية، وأجابها نيقولاس، وهو يساعد كيلي لتنزل من العربة.

وقال لها «هذه تينا» وتحدث بسرعة مع المرأة باليونانية.

وشعرت كيلي، بعينين سوداوين حادتين تتفحصانها بفضول تحت جبهة ضيقة. كانت المرأة قصيرة، وشعرها أسود مجدّل مضموم إلى الخلف بربطة عند مؤخرة العنق. وانحنت المرأة لها وتكلمت بشيء ما.

وقالت كيلي وهي تلتفت إلى نيقولاس «ماذا يجب أن أقول لها؟، أرجوك علّمني شيئاً أقوله لها باليونانية».

ـ كل ما يجب أن تقوليه الآن هو ـ كاليسبيرا ـ وهي تعني مساء الخير.

وكررت كيلي الكلمة ببطء وراقبت فم المرأة ينفرج بابتسامة.

وردت بانكليزية مكسرة:

ـ مساء الخير سيدة ديتريوس، أهلاً بك في سكيوس. هل تدخلين الآن؟

ـ أنت تتكلمين الانكليزية جيداً.

وقال نيقولاس وقد بدا عليه نفاد الصبر.

ـ طبعاً، فقد عاشت فترة في الولايات المتحدة. هل آرني هنا يا تينا؟

ـ اجل إنه في المطبخ.

ـ سأذهب وأستدعيه ليساعدني بحمل الحقائب. بينما ترشدين السيدة إلى غرفتها. سترغب في الاغتسال وتغيير ملابسها بعد الرحلة.

ـ من هنا ارجوك.

وقادتها في الاتجاه المعاكس للوجهة التي ذهب اليها نيقولاس بين جدران بيضاء خشنة فيها على كلا الجانبين فتحات، إلى قاعة ثم الى أخرى عبر باب. وكانت الغرفة التي قادتها إليها تينا مربعة وبسيطة ومفروشة بأفضل الاثاث، ستائر بلون البحر، خضراء وزرقاء متمازجة معاً، والارضية الحجرية مغطاة بسجادة خضراء.

وقالت تينا وهي تفتح باباً «وهذا الحمام».

وسألتها كيلي وهي تخلع سترتها «والباب الآخر؟».

ـ إنه يقود الى غرفة نوم أخرى.

ولم يكن على وجه تينا أي دليل على الابتسام. ومن تحت حاجبيها الكثيفين أخذت عيناها السوداوان تتفحصان كيلي بعداء ظاهر كان يصيبها بالقشعريرة. عندها انفتح الباب ودخل رجل قصير نحيل وقوي. يحمل حقائبها. ووضعها على حافة السرير، ووقف وحدق بها هو الآخر. وعيناه تتفحصانها باهتمام. وقالت تينا:

ـ هذا آرني، زوجي.

وقالت كيلي ببطء «كاليسبيرا» وأمام دهشتها ضحك الرجل وقال:

ـ لا حاجة لأن تضيعي مجهودك عليّ يا سيدتي. فأنا من انكلترا مثلك تماماً، سعيد بلقائك.

وتحرك نحو الباب ولاحظت وهو يمر بها خطوة خاصة في مشيته وكأنه أمضى وقتاً على متن سفينة، كما لاحظت تحت أكمام قميصه الابيض خطوطاً زرقاء لوشم على ذراعه. وسألتها تينا وهي تتراجع نحو الباب.

ـ اتريدين مني أن أبقى وأساعدك على ترتيب ملابسك؟

ولاحظت كيلي تلك العدوانية ثانية فرفضت وخرجت المرأة وأقفلت الباب. وشعرت كمن ارتاح من بعض التوتر، ففكت أزرار سترتها، وخلعتها ورمتها على السرير، وهي تتطلع حول الغرفة، وتوقفت أنظارها عند الباب الذي قالت تينا إنه يقود إلى غرفة نوم أخرى.

الرجل الذي أتى بالحقائب أدخل فقط حقائبها هي، فهل أدخل حقائب نيقولاس إلى الغرفة الأخرى؟ وتمنت ذلك، لأن الغرف المنفصلة هي تماماً ما تريده. وتقدمت نحو الباب، وادارت المقبض ودفعت الباب، ولكن الباب بقي مقفلاً، فهل هو مقفل من الناحية الأخرى؟

وأفرغت كيلي كل ملابسها في وقت قصير وعلقتها في الخزانة وخلعت ملابسها ولفت نفسها بروب أزرق. ودخلت الحمام وكانت المياه تغلي تقريباً، ولم يمضي وقت حتى أصبح الحمام مليئاً بالبخار وهي تسترخي في المغطس.

كانت تتمدد في الماء عندما فتح الباب فجأة ودخل نيقولاس، ووقف ويده على خصره والأخرى على مقبض الباب. وقال:

ـ لا أريد استعجالك كثيراً، ولكنهم في انتظارنا في منزل والدي بعد عشرين دقيقة، وأريد أن أغتسل ايضاً قبل الذهاب.

www.elromancia.com

«أوه» وتكورت في وضع جلوس في المغطس وتناثر الماء على حافته. وغطت جسمها بذراعيها بحركة عنيفة وقالت:

ـ لماذا لا تستعمل حمامك الخاص؟

ـ هذا حمامي... هيا.. اخرجي... لقد بقيت فيه ما يكفي. سأساعدك على تجفيف نفسك إذا أردت.

ـ لا... لا... اذهب من هنا.. اوه.. كيف تجرؤ على الدخول إلى هنا دون أن تقرع الباب أولاً! أليس عندك أخلاق؟

ـ بعض منها، ولكنني لم أربى لأكون «جنتلمان». مع أب ولد وترعرع في فقر مدقع وأمضى شبابه كبحار في سفينة صغيرة، ووالدة كانت تكسب رزقها وهي تغني في ملاهي نيويورك، لم يكن أمامي فرص كثيرة لأتعلم الاتيكيت. هيا اعطني يدك لأساعدك على الخروج، إلا إذا... اذا رغبت أن انضم اليك في المغطس.

وصرخت كيلي «لا!» وأسرعت واقفة على قدميها، وأمسكت بنفس الوقت بالمنشفة وحاولت الخروج، ولكن إحدى قدميها انزلقت في المغطس ووقعت إلى الامام بين ذراعي نيقولاس مباشرة.

ـ هم م م... رائحتك لذيذة.

وتراجعت كيلي بسرعة إلى الخلف، ووجدت المنشفة ووضعتها كحاجز بينهما، بحيث تغطي جسدها. وقال لها:

ـ كل من رآنا كان يظن أننا عاشقان.

ـ نحن لسنا كذلك.

ـ ولكن أول مرة التقينا.

ـ أفضل نسيان أول مرة. اعذرني.. الحمام كله لك، سأجفف نفسي في غرفة النوم.

وخرجت من الحمام إلى غرفة النوم وأقفلت الباب وراءها عندما

خرج نيقولاس من الحمام، وشعره منسدل على جبهته ورائحة اللافندر نفسه الذي استعملته هي تفوح منه، كانت قد ارتدت كل ملابسها، الثوب الصوف الناعم الأزرق الذي اشتراه لها، وهي تقف عند النافذة تنظر إلى الخارج وهي تدخن. وقال لها بحدة:

ـ لقد قلت لك من قبل انني لا أرغب في أن أراك تدخنين في غرفة نومي.

وتقدم منها وانتزع السيكارة من يدها. وصرخت به:

ـ غرفة نومك؟ ولكنني اعتقدت... تينا قالت إن هناك غرفة نوم أخرى هناك..

ـ أجل.. هناك غرفة صغيرة، ولها سرير صغير يناسب طفلاً صغيراً. أستعملها غرفة للبس فقط. أنا أنام هنا. أنت مضطربة مرة أخرى... لماذا؟ ألأنك ستشاركيني الفراش هذه الليلة؟

وفتحت كيلي فمها لترد عليه، ولكنها غيّرت رأيها وهزت رأسها بالنفي واستدارت لتنظر من النافذة. لم يكن هناك الكثير لتشاهده، فقط السماء الزرقاء الداكنة فوق صف من الأشجار وبضع نجوم تغمزها. وقالت:

ـ أظن أن تينا... لا تحبني.

ـ وهل يهمك هذا.

ـ أجل يهمني، بما أنني سأبقى هنا لوحدي الأيام القادمة.

ـ لا تهتمي بالأمر. تينا ستعود عليك قريباً، في الوقت الحاضر تشعر بالغيرة.

ـ الغيرة؟ ولماذا؟

والتفتت لتنظر اليه، كان قد أخذ قميصاً نظيفاً، قميص حريري بلون الكريم بأكمام قصيرة. ووقف عند باب الغرفة الأخرى.

www.elromancia.com

- طبعاً أنت لم... هي ليست...

وتوقفت، وقد أرعبتها فكرة أنه على علاقة بامرأة تكبره بعشرين سنة على الأقل. ولكن بعد تذكرها ماضيه ونوعية النساء اللواتي عاشرهن.

- اجل.. تينا تكنّ لي عاطفة كبيرة. عندما كنت طفلاً أعيش في نيويورك كانت مربيتي، وكانت تغار من أية امرأة تنظر إليّ، حتى والدتي. ومنذ عدة سنوات عندما قررت أن اسكن في بيت لوحدي هنا في سكيوس كتبت لها أطلب منها أن تعمل لديّ. وكانت وقتها متزوجة من آرني، الذي كان في البحرية الانكليزية. وقدما معاً للعيش والعمل. وحتى الآن الأمور سائرة على ما يرام.

واستدار نحو غرفة النوم الأخرى ودفع الباب ليدخل، وعندما عاد للظهور كان يرتدي بنطلوناً بلون الكريم يناسب القميص وسترة سوداء فضفاضة.

- اقترح عليك أن تأخذي معك سترة او كنزة لترتديها على الطريق. فأحياناً يكون الريح الآتي من البحر بارداً خلال الليل.. أمستعدة للخروج؟

وسارا في طريق ضيق عبر الصنوبر، كان يتعرج صعوداً، وأبقى نيقولاس ذراعها مشبوكة بذراعه، ولم تحاول أن تسحبها لأنها لا تعرف الطريق وبحاجة لأن يقودها فيها، وبحاجة لقوته، وثقته بنفسه لدعمها خلال المقابلة المقبلة مع باولوس ديتريوس.

خلال الأسبوع الذي مضى، وبينما كانت تستعد للزواج من نيقولاس استطاعت أن تعرف أكثر عن والده. ويبدو أن زوجة باولوس الأولى ماتت فجأة تاركة له ابنتين دون ابن وكان يومها في الخمسين من عمره تقريباً. بعدها بوقت قصير أصيب بنوبة قلبية، مما دفعه الى الذعر والإسراع في الزواج من مارلين ميريل، مغنية اميركية، أنجبت

له ولداً من علاقة عابرة معها قبل سنتين. وتزوجها ليمنح نيقولاس شهادة ميلاد شرعية ليصبح لديه وريث لملايينه لو توفي فجأة. بعد ذلك اتفق معها على الانفصال وتركت له نيقولاس تحت وصايته.

ولكنه لم يصب بنوبة قلبية بعدها ولم يمت، وهو الآن في الثانية والثمانين وترك كل أمور الإدارة والتنظيم لأعماله البحرية والاستثمارات المالية الأخرى لابنه نيقولاس، ويمضي معظم وقته في فيلته برفقة زوجته الثالثة مارينا.

في الغرفة التي دخلاها، كان هناك ثلاثة أشخاص، ولكن كيلي لم تلحظ سوى رجل واحد، يجلس على كرسي متحرك. وكان من السهل عليها أن تتعرف على باولوس ديتريوس من صوره المنشورة في المجلات، كذلك من بعض الشبه بنيقولاس، له نفس الحواجب الرفيعة الغريبة السوداء التي تعطي الوجه مظهراً شيطانياً، ونفس الأنف المقوس إلى الأسفل، ونفس العينين القريبتين من السواد. وعندما وقع نظره عليها صاح بشيء عبر الغرفة باليونانية، وأجابه نيقولاس، مما جعل أحد الموجودين يضحك.

وقالت كيلي بلهفة «ماذا قال؟» وأخذت تشد ذراع نيقولاس «قل لي ماذا قال!» لم يعجبها أنها لا تعرف لغتهم، يجب عليها أن تحاول تعلمها، خلال إقامتها هنا، وإلا سوف يفوتها الكثير مما يدور حولها.

وتمتم «إنه يقول إننا تأخرنا خمس دقائق. إنه يكره الانتظار» وحثها على التقدم عبر الغرفة نحو الرجل الذي كان يحدق بها، وتقف خلفه امرأة تضع إحدى يديها على كتفه، يبدو عليها أنها يونانية بشعر أسود وعينان سوداوين، بشرتها سمراء ذهبية، وفي اصابعها وحول رقبتها تلتمع الاحجار الكريمة والماس.

وسألته كيلي من زاوية فمها «وماذا قلت له؟ ما الذي جعل الآخر يضحك؟» وكانت المرأة تتطلع اليها بنوع من الريبة. وقال لها نيقولاس:

ـ لن أخبرك. فلدي شعور بأنك قد تغضبين وتستديرين على أعقابك وتتخلين عني.

ودهشت لرده، ولم تجد شيئاً تقوله، ثم أصبحا أمام الرجل العجوز، وكان نيقولاس يقدمها له، وهو ينظر إليها، نظرة متفحصة، مما جعلها تضم يديها إلى جانبيها وترفع ذقنها بشيء من التحدي.

وقال لها باولوس بلهجة انكليزية محضة، جعلتها تتعجب:

ـ إذاً انت ابنة دايفيد ميلتون. هل انت مقامرة مثله؟ لا بد أنك مقامرة لتتزوجي شبلي هذا. اتظنين أنك قادرة على ترويضه؟

ـ انا لست متأكدة أنني أرغب في ترويضه. لم أكن اعلم أنك تعرف أبي.

وجلست على كرسي وضعت بالقرب من الكرسي المتحرك، وقد لاحظت أن نيقولاس والمرأة السمراء قد انسحبا قليلاً ليتبادلا الحديث بصوت منخفض، وبشكل حميم تقريباً ورأساهما قريبان من بعضهما. وتابع باولوس كلامه:

ـ لقد التقيته مرة، منذ سنوات. أنت تشبهينه قليلاً. أعتقد أنك لا تحبين أن تقبّلي رجلاً عجوزاً؟ لقد مر عليّ زمن، عندما كنت شاباً، كانت كل الفتيات ترغب في تقبيلي، وكنت يومها أنيقاً، وقوياً اما الآن فانا كيس من العظام، معظمها ملتهب.

ـ ولكنك لازلت وسيماً.

ومالت إلى الأمام ولمست خده بشفتيها الناعمتين، وقد شعرت بالتوتر يغادرها فجأة، بعدما ادركت أنه بالرغم من كونه كان في

الماضي من القساة، ومن ملوك اصحاب الاعمال، الا أنه الآن قد أصبح رجلاً عجوزاً وحيداً.

ولاحظت من طرف عينها أن المرأة السمراء شبكت ذراعها بذراع نيقولاس وسارا ببطء إلى جزء آخر من الغرفة. وشعرت بشيء حار وحاد يضغط على صدرها، وأحست بدافع غامر يحثها على القفز واقفة، وأن تذهب نحو نيقولاس، وتشده عن تلك المرأة.

ولكنها سيطرت على نفسها وبقيت حيث هي، وجذبت أنظارها عنهما لتركزها على وجه باولوس، وكانت عيناه السوداوان تراقبانها عن كثب. وقال لها بشكل فجائي.

ـ إنها مارينا، زوجتي الثالثة. إنها امرأة جميلة أليس كذلك؟ منذ أن لازمت هذه...

وضرب ذراع الكرسي المتحرك براحة يديه. وتابع:

ـ كان عليّ أن أجد شخصاً يرعاني، ممرضة. ولم أرغب برجل يمرضني، وهكذا وجدت ابنتي مارينا. وبدا أن من الملائم الزواج منها لإسكات القيل والقال. إذاً... أنت تعتقدين أنني وسيم... هه؟

وابتسم لها، مظهراً أنه لا يزال يملك معظم اسنانه، وتابع:

ـ والآن دعيني أعود إلى الاطراء. أنت جميلة بطريقتك الانكلوسكسونية كالملائكة، ألم يقل لك أحد هذا من قبل؟

وضحك ثم رفع صوته ونادى «هاي.. جون، تعال إلى هنا! تعال وقابل كنتي». ومال إلى الامام وهمس بصوت خافت «إذا كنت تعتقدين انني وسيم، انتظري لتقابلي حفيدي، جون تيرنر. انه مثل نيقولاس نصف اميركي. لقد تزوجت ابنتي الكبرى كاسي من توم تيرنر، الذي يدير الآن مكتبنا في نيويورك.

الشاب الذي اقترب منهما كان وسيماً بالفعل، يشابه الصور التي شاهدتها كيلي في الكتب «لأدونيس» له جبهة مستقيمة، أنف مستقيم، فم بارز مليء الشفتين، وذقن مستدير له طابع عميق. بشرته سمراء لها لمعان البرونز. ورأس جميل الشكل، تحت حواجبه المقوسة البرونزية، عينان زرقاوان غامقتان، تتباينان تماماً مع باقي لون بشرته، يرتدي بنطلوناً كحلياً فوقه قميص بياقة مستديرة من القطن.

واختفى بروز فمه عندما ابتسم لكيلي وقال وهو يصافحها:

ـ مرحباً... سعيد برؤية شخص من عمري تقريباً. لقد قدمت إلى هنا منذ بضة أيام فقط، وقد شعرت بالملل. ارجو أن لا يسمعني جدي، لقد كان رائعاً معي لاستقباله لي. أظن أن عليّ توضيح هذه النقطة. في الوقت الحاضر انا هارب من غضب ابوي. لقد وقعت في ورطة في جامعتي، وكان عليّ أن أترك الدراسة قبل الامتحانات مباشرة، وأهرب من البلد، والمكان الوحيد الذي فكرت أن ألجأ إليه هو هنا. جدي سيجعلني أعمل على إحدى سفنه في البحر.

وتوقف لحظة ثم تابع «أكيد أنني أتكلم كثيراً عن نفسي أليس كذلك؟ ولكن ذلك لأنه لا يوجد أحد هنا أتكلم معه. جدي يتعب بسرعة ومارينا لا تتحدث الانجليزية. كم ستمكثين أنت ونيقولاس هنا؟».

ـ لست متأكدة. على الاقل سأبقى حتى الأسبوع القادم. إنه مسافر الى نيويورك غداً وسيعود يوم الجمعة، كما قال.

ـ اوه نعم.. إنه ذاهب لتسوية ورطة وقع فيها أبي مع اتحاد عمالي هناك. نيقولاس رجل عظيم. هادىء في مظهره، ولكن المسيه حيث يتألم وستجدين الكثير من النار اليونانية الحامية تحت مظهره. انها تنوهج فجأة وقبل أن تلاحظي تكون قد لذعتك. أنت تبدين مختلفة عن المرأة التي كان على علاقة معها. كيف تزوجتيه؟ لا يمكن أن

يكون من اجل الحب، لا بد من أجل المال.

ـ وما الذي يجعلك تعتقد هذا؟

ـ نوع معين من التشكيك، نما معي لكوني عضو في عائلة ثرية. فنحن دائماً نشك بأي شخص يتقرب منا، ولا نصدق أنه يحبنا لشخصنا فقط.

وتطلعت كيلي حولها لتجد الآخرين يتقدمون عبر الغرفة، المرأة مارينا كانت تجر الكرسي، ورموشها تغطي عينيها ووجهها جامد. وقال نيقولاس بصوت بارد دون تعبير «كيلي... أود أن تقابلي مارينا. إنها لا تتكلم الانكليزية، لذا حييها باليونانية، هل تسمحين؟»

وحيتها كيلي بهدوء ونظرت مارينا إليها، ولم تظهر اي ابتسامة على وجهها. بل هزت رأسها فقط، وهمست بنفس التحية، ثم اعادت نظرها إلى يديها الموضوعتين على ظهر الكرسي. وقال باولوس:

ـ سآخذ منك نيقولاس لفترة وجيزة. هناك أمور تتعلق بالعمل يجب أن نناقشها مثل ذهابه الى نيويورك. ولكنني سأراك غداً. تعالي الى هنا في اي وقت، واستخدمي بركة السباحة إذا احببت.

ونظر إلى جون، وغمز له بعينه وتابع:

ـ ستعتني بها، أليس كذلك يا حبي؟

ـ سأكون مسروراً لذلك يا جدي. تصبح على خير.

وهمس نيقولاس لكيلي «لن أتأخر، ربما ساعة فقط».

وقالت له ببرود «قد أعود إلى المنزل الأخر. لقد كان يوماً متعباً وأرغب في ان آوي إلى الفراش» وأجابها «كما ترغبين» واستدار إلى جون «أرجو أن ترافق كيلي الى الڤيلا فهي لا تعرف الطريق» ورد عليه جون «سيكون من دواعي سروري». وهمس لها نيقولاس «سأراك فيما بعد. انتظريني» وقالت له، وهي تسحب يدها من يده «سأحاول! ولكنني لا أعدك بشيء».

ونادى باولوس من الممر بصوت أجش ومتوعد «نيقولاس» وأسرع نيقولاس بالاستدارة وخرج من الغرفة.

وسألها جون «هل ترغبين في الذهاب الآن؟».

ـ اجل، ولكن لا ضرورة لأن تأتي معي. فانا واثقة أنني ساجد طريقي. فالبيت ليس ببعيد.

ـ سآتي معك على كل الاحوال. فانا أحب السير في الليل لأستمع إلى اشباح الجزيرة. هل أتيت إلى اليونان من قبل؟

ـ لا.. وانا أتشوق لأن أرى بعض المعالم المشهورة.

ـ للأسف أن على نيقولاس السفر. ولكنني سأكون مسروراً لأذهب معك إلى أي مكان ترغبين بمشاهدته. هنا في سكيوس هناك آثار معبد من العهد المسيني. اكتشفه كارل زويس، عالم الآثار الألماني هل سمعت به؟

ـ شركتنا ـ أعني مؤسسة ميلتون للنشر هي التي نشرت كتابه حول المكان. أحب أن أزوره. هل نذهب غداً؟

ـ طبعاً...

كان صوته متحمساً، وأحست بيده تحت كوعها، وقال «سنذهب من هذه الناحية، لا من هنا، أرأيت قدومي معك كان جيداً وإلا لأخذت الطريق الخطأ عبر الأشجار يا خالتي كيلي».

وقالت له ضاحكة «ولماذا تدعوني خالتك؟».

ـ نيقولاس خالي، أو نصف خالي بالتحديد، وأنت زوجته وهذا ما يجعلك نصف خالتي.

ـ ولكنك لا تدعوه بالخال نيقولاس.

ـ صحيح، أنا لا أدعوه هكذا.

ـ اذن لا تتجرأ بعد الآن وتدعوني خالتك، وإلا لن أتكلم معك أبداً.

ـ حسناً.. لن أفعل يا كيلي.

وانزلقت يده تحت ذراعها وشبك أصابعه بأصابعها «قد أصبح معجباً بك كثيراً. بما إنك إحدى النساء اللواتي يحبين أن يقدن حياتهن بأنفسهن، ولا يشكلن خطراً على الرجل الذي يتورطن معه. هل يمكن ان يكون هذا سبب اختيار نيقولاس لك. لقد كان دائماً حذراً كالقط ويحب أن يعيش لوحده». وتوقف برهة ثم أضاف «لقد كنت على حق، لقد تزوجته من أجل المال، أليس كذلك؟».

وافلتت أصابعها من أصابعه وقالت «ربما» فقال مازحاً:

ـ زوجة بالتعاقد.. هه؟ مثلما كانت أمه، ألم تقابليها بعد؟

ـ لا لم أقابلها. وهل هناك أي خطأ في توقيع عقد عندما تتزوج؟ يبدو لي أن معظم من يتزوج هذه الايام يفعل هذا. إنه يوفر الكثير من الترتيبات والإزعاج عندما لا ينجح الزواج.

ـ أعتقد ذلك. ولكنني لم أظن ابداً أنك من هذا الصنف. كنت أظنك من النوع العاطفي، تفعلين كل شيء لأجل الحب.

ـ ربما أيام رومانسيتي انتهت.

ـ وهذا يعني أنك كنت تحبين. ماذا حدث؟ هل تخلى عنك؟

ـ أجل لقد تخلى عني.. هل تمانع في أن نتحدث عن شيء آخر.. هل تتكلم اليونانية؟

ـ أجل، لقد تعلمتها من والدتي.

ـ وهل تعلمني.. بينما أنت هنا؟ فلو كان على نيقولاس أن يبقى بعيداً لفترات طويلة، يتوجب عليّ أن أتعلمها، للاستخدام اليومي.

ـ وهكذا تستطيعين معرفة ما نقوله عنك. لقد شعرت بالخيبة هذه

الليلة أليس كذلك؟ عدم معرفتك لما يقول نيقولاس لمارينا وما تقوله هي له؟

وجمدت كيلي في مكانها، واستدارت اليه. واستطاعت ان ترى خطوط كتفيه وصدره من خلال القميص تحت الضوء المنبعث من فيلا نيقولاس. وقالت له «أنت مراقب بارع».

ـ لقد تدربت على هذا، وخاصة فيما يتعلق بالناس. لقد كنت أدرس لأن أكون عالماً نفسياً، قبل أن أترك الجامعة. مراقبة الناس ومحاولة تحليل دوافعهم. معك حق بأن تقلقي بخصوص مارينا. لو أن النظر يقتل لكنت ميتة الآن، نسبة للنظرة التي رمتك بها عندما ظهرت هذا المساء.

ـ ولكن لماذا؟ ولم ردة فعلها هذه ضدي؟ لم نتقابل من قبل ولم أفعل شيئاً يؤذيها.

ـ أوه.. أجل.. لقد فعلت الكثير، لقد تزوجت نيقولاس، وهذا شيء كانت تأمل به هي. كل العائلة تعرف أنها كانت تتمناه زوجاً لها عندما قدمت إلى هنا كممرضة. ولكن نيقولاس شخص صعب التقاطه، وتعبت من الانتظار، وهكذا عندما طلبها باولوس قبلت، وهي تظن أن عصفوراً في اليد خير، حسناً انت تعرفين بقية المثل، ولكنها لا تزال ترغب في نيقولاس. ولن اكون مندهشاً أبداً لو انها بذلت جهدها لتأخير نيقولاس هذه الليلة بعدما ينهي حديثه مع جدي. وأراهن أنه لن يعود قبل الساعات الأولى من الفجر.

ولم تقل كيلي شيئاً، واستدارت وتابعت طريقها، ولحق بها جون وقطعا حديقة الفيلا بصمت. وعند الأقواس الثلاثة فوق المدخل توقفا. وقال لها بنعومة وهو يقترب منها:

ـ أرجو أنني لم أقل شيئاً يغضبك.

ـ لا، ابداً. معك حق، فأنا زوجة بالتعاقد، وهذا يعني أننا اتفقنا على أن يعيش كل منا حياته الخاصة. فلو أراد أن يبقى حتى منتصف الليل يتحدث إلى مارينا فهذا من شأنه وليس من شأني. شكراً لك لمرافقتي والتحدث معي. في أي وقت ستأتي غداً لمرافقتي؟

ـ ليس باكراً جداً. هل تحبين السباحة؟

ـ أجل، ولكن هل سيكون الطقس دافئاً؟

ـ إذا لم يكن، فالماء في بركة سباحة جدي يمكن تسخينها. بعدها سنمشي إلى موقع القصر وأروي لك قصصاً مخيفة عن حياة عائلة ديتريوس الغرامية.

ـ جيد جداً، هل الحادية عشر وقت مبكر عليك؟

ـ سأكون منتظراً لك عند بركة السباحة، تصبحين على خير، سيدتي، نوماً هنيئاً. والآن قولي ورائي «كا ـ لي ـ نيخ ـ تا ـ ساس».

ـ وماذا تعني هذه الكلمة.

ـ تصبح على خير.

بعد حوالي الساعتين كانت لا تزال مستلقية على السرير وقد جفاها النوم. وأضاءت الضوء قرب السرير ونظرت إلى ساعتها، لقد مضى ساعتين منذ أن قال نيقولاس إنه سيعود بعد ساعة. واطفأت الضوء وعادت إلى الاستلقاء وهي تنظر عبر النافذة إلى النجوم، وهي تصغي السمع، آملة أن تسمع وقع خطواته وهو عائد إليها بدل أن يبقى كل الليل مع ميلينا.

ومضت ساعة أخرى، وبدأت تتوق لأن يعود، وتوترت أعصابها لدرجة الانهيار. ونهضت من الفراش ودخلت الحمام لتدخن سيكارة. وتطلعت إلى وجهها في المرآة وضحكت بهستيرية من نفسها وقالت بصوت مرتفع:

- يا الهي، تبدين وكأنك تتخبطين في فوضى. ماذا دهاك؟ ولم انت مهتمة هكذا به. اذهبي إلى الفراش وتوقفي عن التفكير به. فانت لست واقعة في غرامه وهو لا يحبك، لذا يجب أن لا تتوقعي الكثير منكما معا.

بشكل ما، التحدث مع نفسها هدّأ من أعصابها، لأنها عندما عادت للاستلقاء غرقت فوراً بالنوم. وكأنها هبطت من قمة جبل إلى اعماق هوة عميقة جداً سوداء مظلمة ليس لها قرار. وفيما بعد، في وقت متأخر، شعرت على نحو ضبابي بأنها تطوف ثانية من قاع الهوة إلى الصحوة مرة أخرى، وكان هناك دفء وراء ظهرها. لقد كان نيقولاس في السرير معها.

- كم الساعة الآن؟

- حوالي الثانية صباحاً، لقد كنت مستغرقة في النوم.

- كنت تعبة، ولا أزال.

وتمطت، وأزاحت ذراعه من فوقها وتحركت نحو زاوية الفراش «تصبح على خير».

وتقدم منها، ووضع ذراعه حولها، فاستلقت كما هي وقد طار النوم من عينيها. وقالت له «أرجوك ابتعد عني. لا أريدك!».

وانتظرت رده، وهي تتساءل عما تستطيع أن تفعل لو أنه قرر فرض نفسه عليها. وسحب ذراعه ببطء عنها وأحست به وقد استدار على ظهره. وساد الصمت. ثم تحرك من جديد. وأحست بنسمة هواء باردة تدخل إلى الفراش وهو يرفع الغطاء. ثم اعاد الغطاء مكانه، وفتح الباب واغلقه بهدوء، لقد ذهب.

٤ - المرأة الأخرى

في الصباح التالي، استيقظت كيلي باكراً. ولم يكن هناك أثر لنيقولاس وباب غرفة النوم المجاورة لا يزال مقفلاً. وفي الحمام أحست بالدفء وكأنه استخدم في ذلك الصباح.

وارتدت ثياباً خفيفة وغادرت غرفتها لتقوم بجولتها الاستكشافية لموطنها الجديد.

الموطن. وهل ستكون هذه المربعات البيضاء المتلاصقة على جانب التلة والمتصلة بسلسلة من الطرقات الحجرية، والمنفصلة عن بعضها بساحات صغيرة تنمو فيها الأزهار والياسمين، وطناً لها؟ أم ستبقى على الدوام غريبة هنا، كما هي الآن، غير متأكدة أين تجد غرفة الطعام لتتناول الفطور فيها او حتى المطبخ حيث تحضر فيه وجبة الطعام.

اكتشفت أن الغرفة التي نامت فيها كانت عالية على جانب التلة. وبعد أن هبطت درجتين وصلت إلى ساحة كانت أطول من الأخريات تنتهي بقنطرة تستطيع من خلالها رؤية البحر يلمع تحت أشعة الشمس. ووجدت آرني هناك يعمل وحياها.

- صباح الخير سيدة ديتريوس. هل تقومين بجولة؟

- أحاول، اين أذهب لتناول الإفطار؟

www.elromancia.com

ـ ستجدين زوجتي عبر ذلك الباب.

واتبّعت الاتجاه الذي أشار اليه، ودخلت عبر قنطرة جديدة إلى غرفة مربعة أخرى حيث الايقونات والسجاد المطرز يغطي الجدران البيضاء وطاولة محضّرة لشخص واحد.

ولم تكد تدخل حتى ظهرت تينا عبر باب آخر تحمل صينية. وقالت لها بصوتها الغليظ وهي تضع الصينية على الطاولة:

ـ صباح الخير يا «كيريا». ارجو أن يعجبك هذا الإفطار، قهوة يونانية، خبز وزبدة وعسل. لقد ترك لك «كيريوس» ديتريوس هذا.

وأخرجت من جيب مريلتها مغلفاً ابيض أعطته لها.

ـ اوه وهل سافر؟ في أي وقت سافر؟

ـ عند الفجر. لقد استقل اليخت إلى بيرايوس.

قالت هذا وخرجت من الغرفة. وأصبحت كيلي لوحدها. فجلست الى الطاولة. كانت تشعر بالجوع، فوضعت المغلف جانباً، وبدأت تأكل، وفي وقت قصير أكلت كل شيء أمامها واحتست القهوة الحلوة، ثم فتحت المغلف وقرأت ما كتب في الورقة بداخله.

«كيلي، يبدو أنك لا زلت تعبة، لذا لن أوقظك لأودعك هذا الصباح. أرجو أن أجدك اكثر راحة عندما أعود.

«يبدو لي أنك قد تحتاجين لبعض المال. حتى الآن لم يكن لديّ الوقت لفتح حساب لك لتسحبي منه. وخلال هذا، أترك لك الحرية بأن تطلبي من فيليب مارياناتوس سكرتير أبي، أي مبلغ من المال تحتاجينه. أراك يوم الجمعة».

ماذا يعني بقوله إنه يأمل أن يراها أكثر راحة عندما يعود؟ هل يعني أن يجدها أكثر تجاوباً؟ ستتعامل مع هذا الأمر عندما يحدث، ووضعت الرسالة في المغلف. فقد قررت أنها اليوم، وكل يوم حتى الجمعة ستستفيد أقصى ما يمكنها من وجودها هنا، ستمتع نفسها،

وتذهب حيث تشاء، وتفعل ما تريد. وهكذا خرجت الى الباحة.

وسمعت تينا تقول «كيريا».

واستدارت كيلي لتردّ «ماذا هناك؟».

ـ هل ستكونين هنا عند وجبة الغداء؟

ـ أنا.. هه... لست متأكدة. أنا خارجة الآن إلى القيلا الأخرى لأسبح في البركة، فقد قال لي ديتريوس الكبير إنني استطيع أن أفعل. وبعد ذلك لست متأكدة. أظن من الأفضل أن لا تحضري لي شيئاً.

وتوقفت عن الكلام، بعد أن لاحظت نظرة تينا إليها، المزعجة. وسألتها:

ـ هل خبزت خبز الإفطار بنفسك هذا الصباح؟

يجب أن تجد طريقة لكسر هذا البرود المعادي.

وأجابتها تينا بصوت بدا عليه النعومة قليلاً «أجل.. أنا خبزته».

ـ لقد كان رائعاً. لقد تمتعت به. والقهوة أيضاً، والعسل.

وأجابتها تينا ببعض الفخر «العسل من جبل ايميتوس وهو الأفضل في العالم ـ أسعدني أنه أعجبك! هل أستطيع عمل شيء لك اليوم؟ هل لديك ثياب لأغسلها؟».

ـ بعض الملابس الداخلية فقط، ولكنني استطيع غسلها بنفسي لو أرشدتني إلى مكان الغسيل.

ـ الأفضل أن أغسلها أنا، كيريا، هذا عملي، أن أعتني بالبيت وأحضّر الطعام وأقوم بالغسيل. أنا اغسل ثياب كيريوس ديتريوس عندما يكون هنا. وبما أنك أنت الآن زوجته فسأفعل نفس الشيء لك.

ـ اجل... ولكن...

وتوقفت لتعض على شفتها، ثم ضحكت «الحقيقة يا تينا، أنا لست معتادة على أن يخدمني أحد. فأنا معتادة على الاعتناء بنفسي، أغسل

لنفسي، أنظف غرفتي، وأطبخ لنفسي. وأحب أن أدخل وأخرج كما يحلو لي».

وقالت تينا بسرعة وهي تتناول صينية الطعام الفارغة.

ـ أرى أنك مستقلة بنفسك، كيريا. ولكن من الأفضل كبح حيويتك وحبك للصداقة وانت تقيمين هنا على الجزيرة، لأن البعض قد يعلق عليها ويسبب المشاكل لك. اتركي الثياب التي تريدين غسلها في السلة عند زاوية غرفة النوم. سألتقطها عندما أرتّب السرير وأنظف الأثاث.

ولم تلق كيلي بالاً لكلام تينا واعتبرته نوعاً من الغيرة على نيقولاس وقلق على ما قد يقوله الناس عن زوجته. وعادت إلى غرفتها وأحضرت ثوب السباحة ومنشفة، ومضت في طريقها عبر أشجار الصنوبر إلى الفيلا الأخرى.

وأرشدتها مدبرة المنزل إلى فناء منعزل حيث الياسمين يمتد على الجدران، بأزهاره البيضاء. وشتول الجيرانيوم الحمراء تزين الموزاييك الابيض المحيط ببركة السباحة، وكان جون هناك. وحيّاها كما ودعها ليلة أمس بطبع قبلة على يدها. فقالت وهي تضحك.

ـ لن أعتاد على هذا ابداً. لست من نوع النساء اللواتي يقبلن بتقبيل اليد من الغرباء. اظن لأنني أؤمن كثيراً بالمساواة.

ـ أنت تبدين أجمل في ضوء النهار، بيضاء نقية كما الثلج الذي لم يُمس. ألم يمسك أحد يا كيلي... على الرغم من أنك متزوجة؟

ـ هذا ليس من شأنك. هل هناك مكان أغير فيه ملابسي؟

ـ لقد تأخر أليس كذلك؟

ـ من تأخر؟

ـ نيقولاس، ليلة أمس. لم يغادر هنا إلى ما بعد منتصف الليل.

ـ ليس لديّ فكرة، فقد كنت نائمة.

ـ واو... ما هذه الطريقة لقضاء ليلة الزفاف؟

ـ ما رأيك لو أشد أذنيك؟ أي ملاحظات من هذا النوع وساتركك تسبح لوحدك.

ـ اوكي.. اوكي.. لن أقول كلمة أخرى. تستطيعين تبديل ملابسك في تلك الغرفة. عبر الباب الزجاجي...

ولنصف ساعة تالية، سبحا، ولعبا بسعادة في البركة، يتسابقان ويتنافسان بالقفز، واخيراً شعرت بأن هذا يكفي، وبدأت تصعد السلم وهي تخرج بسرعة من الماء، وامتدت يد إلى قدمها وسحبتها إلى الوراء فوقعت وغرقت، وعندما عادت إلى السطح كان جون أمامها، وأمسك بها، ونواياه ظاهرة في عينيه، ولكنها تملصت منه وسبحت نحو السلم مرة أخرى، وشعرت ايضاً بيده تمسك برجلها ثانية فصرخت به.

ـ لا تتجرأ وتفعل هذا ثانية!

ورفست رجلها إلى الوراء فوقعت رجلها بقوة على كتفه ثم سارعت بالصعود، فاصطدمت بشخص كان يقف قريباً يراقبهما.

وقالت وهي لا تزال تلهث «أوه.. عفواً». واستدارت، وطوحت بشعرها المبلل وراء ظهرها، وتطلعت لتجد عينا مارينا تحدقان بها. وتوترت على الفور، وهي تتساءل كم مضى من الوقت وهي تراقبهما، يلعبان في البركة.

وانتبهت كيلي إلى أن المرأة كانت تتحدث اليها، ولكنها لم تفهم أي كلمة، وصرخت وهي تلتفت إلى جون الذي خرج من البركة وهو ينشف شعره.

ـ ماذا تقول! أوه ارجوك اخبرني ماذا تقول؟

ـ إنها تطلب منك البقاء لتناول الغداء معنا، هذا كل شيء. لقد أرسلها جدي لدعوتك. ماذا أقول لها؟ هل ستبقين؟ وبعدها نذهب لرؤية القصر الأثري.

ـ أجل.. أرجوك قل لها إنني أرغب في البقاء.

ونقل جون بسرعة ما قالته لمارينا، وأحنت مارينا رأسها وقالت له شيئاً بحدة، ثم سارت عائدة إلى المنزل، وقد ظهر عليها إنها غير موافقة من الطريقة التي تسير بها.

ـ ما بها الآن؟ يبدو أنها قالت لك شيئاً.

ـ اجل لإمساكي بك في الماء. وقالت إن عليّ أن أحترمك اكثر.

ـ يجب أن تفعل هذا، بما أنني نصف خالتك عن طريق الزواج.

ولكن لا بد أنها أدركت أن الأمر كان مزاحاً.

ـ بالطريقة التي تفكر بها مارينا ليس هناك مزاح بين الرجل والمرأة لا بد أنها تنظر إليك الآن كامرأة شمالية متحررة تعبث في غياب زوجها.

ـ يتوجب عليها هي أن لا تعبث، بالطبع.

والتقطت حقيبتها وأخرجت سيكارة. ورد عليها جون:

ـ إنها تفعل هذا فقط مع الرجل الذي تحبه. وبالصدفة هذا الرجل هو نيقولاس.

وشعرت كيلي بالاضطراب لما قاله. وأشعلت السيكارة ووضعت نظارتها الشمسية واستلقت على أحد المقاعد. وقالت بمرح وهي تحاول تغيير الموضوع «كم هو رائع أن يستطيع المرء أخذ حمام شمس في مثل هذا الوقت من السنة. لم أكن أظن أن الطقس سيكون دافئاً هكذا».

ـ أستطيع التأكيد أن بشرتك ستكون بلون العسل خلال أسبوع. وسيكون أمام مارينا صعوبة كبرى للتنافس معك.

ـ احب أن تتوقف عن الكلام عنها وعن نيقولاس.

ـ وهل بدأت تغارين؟

ـ لا، ولكنني سئمت من هذا النوع من الحديث. ألا تستطيع

التحدث حول شيء آخر؟ هل سنأخذ قيلولة بعد الغداء؟

ـ لا، فالقيلولة وقتها في الصيف فقط. في وقت متأخر من كل ربيع يعلن البوليس رسمياً موعد الراحة اليومية، عادة هي بين الواحدة والنصف والخامسة بعد الظهر، ويعتبر إزعاج الناس في بيوتهم في تلك الساعات أمراً فظاً. وأي صوت مزعج يبلغ البوليس. هل ترغبين في متابعة دروس اليونانية؟

ـ لا بأس، من اين نبدأ؟

ـ سنبدأ بالحروف الهجائية.

وإلى أن حان وقت الغداء، في غرفة باردة مرتفعة السقف، كانت كيلي قد تعلمت الابجدية، وأصبحت تقول ـ أرجوك ـ شكراً باليونانية. وسرّت من نفسها، وحاولت استخدام الكلمتين مع مارينا أثناء تقديمها الطعام او تمريره لها. محاولة كسر التهذيب اللامبالي الذي كانت تعاملها به. ولكن مارينا لم تلن او تبتسم.

وأحست كيلي بالشبع ولم تستطع أن تتناول الحلوى، ولكنها تمتعت بتناول بعض العنب الاسود، وتبعه القهوة اليونانية.

ووجه باولوس سؤاله لكيلي «أين سيأخذك جون بعد الظهر؟ لا يمكن أن نتركك تملّين، فبينما نيقولاس غائب يجب أن نبقيك مشغولة حتى لا تشتكي له».

ـ سنسير إلى القصر الذي اكتشفه كارل بويس.

ـ هل قابلتيه من قبل؟

ـ لا، أبداً.

ـ إنه رجل مثير للاهتمام، كارل. وذكي أيضاً، ولكنني كنت سعيداً عندما أنهى عمله وعاد إلى المانيا وأخذ زوجته معه.

وقال جون «كنت اظن أنها تركته عندما كان يعمل هنا، لقد قيل لي إنها هربت مع رجل أصغر منه سناً».

ونظر باولوس إلى حفيده نظرة حادة وقال «هه؟ ماذا تقول؟ مع من هربت؟».

ـ لست أدري، ظننت أنك قادر على إخباري يا جدي، على كل كنا هنا ذلك الوقت.

وتمتم العجوز وهو يهز رأسه «كانت مثيرة للمشاكل. لم تكن النوع المناسب للزواج بعالم مثل كارل. فقد كانت بحاجة لمراقبة طوال الوقت، وعندما لا تحصل على المراقبة، تلتصق بأقرب رجل لها. مارينا، أشعر بالتعب، أرغب في أن أذهب لأستريح، ومعدتي تؤلمني أيضاً». واستدار وابتسم لكيلي وللحظات، رأت في دفء تلك الابتسامة الشبه بينه وبين نيقولاس. ولعدة ثواني شعرت بالشوق له. ولكن هذه المشاعر مضت بسرعة كما أتت.

الطريق إلى القصر، كانت ترابية وعرة، تذهب صعوداً، تلتف بين الصخور البنية وحقول الزيتون ومجموعة من اشجار الصنوبر التي أخفتها الرياح. وقادتهما الطريق إلى سهل طبيعي يرتفع بضعة أمتار فوق البحر، حيث كان بإمكانهما رؤية سطوح منازل قرية صيادي السمك الحمراء، ومن خلفها، البحر بامتداده الأزرق والفضي، وهو يعمي الأبصار بلمعانه.

القصر المكتشف، كان صغيراً، بشكل مخيب للآمال. ويتألف من بضعة أعمدة من الحجر بلون المشمش، على جوانب ما كان في الماضي باحة مرصوفة بالموزاييك، وبعض الجدران المهدّمة. ولم يكن هناك صوت أو نفس او نسمة هواء، لا شيء يزعج سكون ما بعد الظهر. وقالت كيلي:

ـ أتساءل من كان يسكن هنا يا ترى؟ لقد أشار كارل في كتابه إنه كان قصراً صيفياً لملك كان يأتي إليه عندما يصبح الطقس حاراً.

ـ مثل ملوك هذه الأيام. أصحاب الملايين وملوك الصناعة الذين

يملكون مخابىء خاصة بهم في مثل هذه الجزر. مثل جدي ونيقولاس تصوري أن آغاممنون التاريخي يتسلل من ميسينا إلى هنا.

ـ هل ذهبت من قبل الى ميسينا؟ هل تشبه هذا المكان؟

ـ أجل تشبهه كثيراً، ولكن بحجم أوسع، الأعمدة ترجع إلى نفس الحقبة ولكن لا يوجد هنا معبد.

ـ ولا أشباح.

ـ ما عدا شبحيّ كارل وهيلغا سويس. أتساءل عما جرى لهما؟ كلما حاولت أن أجد شيئاً، يسارع أفراد عائلتي، أمي وشقيقتي وجدي إلى إخفاء الأمر. إنه أحد الأسرار التي لا يجب أن يعرفها الصغار. أنت تعرفين عن ماذا أتكلم؟

ـ أظن هذا، فهم لا يريدونك أن تعرف أن واحداً منهم قد تسبب بفضيحة في الماضي.

فيما بعد، وفي وقت متأخر عادا من القرية بعربة يجرها حصان، ولم يكن جون يريد أن يتركها، ولكنها نجحت في إقناعه بالعودة إلى منزل جده واعدة إياه بمقابلته في الصباح التالي ليسبحا مرة أخرى ثم دخلت إلى غرفة نومها وموسيقى البوزوكي التي سمعتها في «التافيرنا» لا تزال تضج في أذنيها.

وكانت الأيام القليلة التي تلت، متشابهة. كل صباح تذهب إلى ڤيلا باولوس لتسبح، وتتشمس ثم تتناول الغداء مع باولوس ومارينا وجون، وبعد الظهر تستكشف هي وجون قسماً من الجزيرة، وينتهي النهار دائماً عند الرصيف لتتحدث مع الصيادين وتستمتع بموسيقى البوزوكي والرقص.

وبحلول ليلة الخميس شعرت كيلي بأنها اكتفت من حياة الجزيرة وبدأت تحس بالضجر. المشكلة أنها غير متعودة على أن لا تعمل شيئاً.

واستلقت على الفراش قلقة وغير قادرة على النوم، تراقب النجوم تمر بالنافذة، وتمنت لو أنها تعود إلى لندن، تعمل في مؤسسة ميلتون. لقد اشتاقت للناس الذين تعرفهم، أمها وزملائها بالعمل، اصدقاءها، فعلى الرغم من صداقة جون ولطف باولوس وكرمه معها، فهي لا تزال تشعر أنها غريبة.

سيكون الأمر أفضل عندما يعود نيقولاس. سيأخذها إلى كل الأماكن التي ترغب في رؤيتها في اليونان. وهو قادم غداً.

في اليوم التالي لم تذهب لتسبح كالمعتاد مع جون، وبقيت في غرفتها وكتبت رسائل لأمها، لأخيها ولصديقتها بليندا. وبعد الغداء، توجهت إلى الڤيلا الأخرى، وقال لها جون هو عابس «لماذا لم تأتي لتسبحي هذا الصباح؟».

ـ كان لديّ أشياء أخرى أهتم بها.

ـ جدي يريد رؤيتك. إنه في مكتبه. لقد عاد فيليب لتوه من أثينا، وهو يتحدث معه. ولكنني لا أعتقد أنه يمانع في ان تقاطعيهم.

ووجدت كيلي طريقها إلى غرفة مكتب باولوس المليئة بالكتب. وكالعادة، كان مسروراً برؤيتها، ومدّ لها ذراعيه بحنان حتى أنها أسرعت إليه وقبّلته على وجنتيه، ولكن عندما أخبرها أن هناك رسالة من نيقولاس يقول فيها إنه لن يعود من نيويورك قبل الاثنين، أوشكت على البكاء لخيبة الأمل. وسألت، وصوتها يرتجف على الرغم منها: «لماذا؟ ولمَ التأخير؟».

ـ لم يستطع إنهاء أعماله في الوقت المحدد، لذا تأخر عن موعد الطائرة التي ستقلّه إلى هنا. لا تقلقي يا عزيزتي، سيكون هنا عما قريب. أحياناً الأعمال لها الافضلية. عندما تمضيان وقتاً اطول معاً، ويصبح لديك عائلة تفكرين بها وشيء يشغلك، لن تفتقديه كثيراً.

ـ ولكنني لن...

وتوقفت، وعضت على شفتها. كانت ستقول إنها لن يكون لديها عائلة، ثم أدركت أنها إنما تخدع نفسها. ونظرت إليه لتجد عيناه السوداوان الحادتان تراقبانها عن كثب وهمس باولوس:

ـ أريد صبياً. ابن لابني. هل تعلمين من اية قرية أتيت؟ يا كيلي؟.

ـ لا...

ـ لقد أتيت من «ماني» من مقاطعة «بيلوبتيسس». أهل تلك القرية فقراء، ولكنهم أصحاب شهامة وكرامة، على الرغم من فقرهم. وحتى الآن يستقبلون ولادة الذكور بإطلاق النار، ويشار إلى الصبيان باسم «البنادق». وأتمنى أن تنجبي لي «بندقية» صغيرة في نهاية هذه السنة. وأتمنى أن يولد يوم عيد ميلادي، السادس والعشرين من كانون الأول، عيد القديس بول، وأتمنى أن تسميه باسمي «باولوس». وأن أضمّه بين يديّ قبل أن أموت.

وحدقت كيلي به، وقد شدّها اللمعان المنبعث من عينيه.

وتسمّرت تحت يده الموضوعة على ذراعها، وكل كيانها ثائر على ما كان يقول. واكمل باولوس بنفس الهمس الأجش.

ـ لهذا كنت ألحّ على نيقولاس ليتزوج. لقد أمضى وقتاً كافياً في لهوه. ولكنني لست واثقاً منك، فأنت جميلة ولكنك نحيلة. ويبدو أنك لا تملكين القدرة على الاحتمال او القوة الكافية. وإذا لم تتغيري، أظن أنك غير صالحة لابني.

ـ هذا ليس صحيحاً! فلدي القدرة على الاحتمال والصبر. فأنا.. أنا.. لقد مررت بالكثير من المصاعب في السنتين الماضيتين ونجوت منها.

ـ هكذا أفضل.. هذا ما أحب أن أراه.. بعض روح التحدي. كيف ستمضين وقتك حتى يوم الاثنين، يبدو أنك سئمت من هذا المكان، أليس كذلك؟

ـ قليلاً، فأنا معتادة على العمل، على القيام بأشياء بنفسي، أذهب أينما أريد متى أريد.

ـ وأين تحبين أن تذهبي؟

ـ إلى.. إلى.. أثينا.. لأتفرّج على المتاحف، والاكروبوليس.

ـ حسناً، اذهبي إلى هناك، غداً. جون يعرف أين يأخذك. ستذهبين لرؤية بيتي حيث ستعيشين أنت ونيقولاس عندما يعود. يمكنك البقاء هناك في غرفة. ولكن كوني موجودة في المنزل عندما يعود يوم الاثنين. هل هذا يناسبك؟

ـ اجل.. شكراً لك.

واحست كيلي بأنها تتلعثم، ونظرت إليه لتجد عيناه السوداوان تحدقان بها. إنه رجل عجوز مخادع. لقد لاحظ قلقها وها هو يقدم لها العلاج. لقد فهم مشاعرها وقدم المساعدة. واضافت تقول «أنت لطيف جداً» واحست بكل ثورتها عليه وقد تلاشت مقابل كرمه. وهمس لها «أنا أفعل هذا لأجل نيقولاس. فأنا لا أريدك أن تتركيه كما تركتني امه، لأنها شعرت بالضجر والوحدة. والآن اذهبي، اخرجي من هنا ودعيني أنام لم أحصل على أي هدوء طوال هذا اليوم».

وخرجت كيلي لتجد جون مستلقياً أمام البركة، يرتشف شراباً مثلجاً، ووجهه مليء بتعبير ضجر. وقالت له وهي تتمدد على كرسي نوم بجواره.

ـ لن يعود نيقولاس قبل يوم الاثنين. لذا سأذهب إلى أثينا وأبقى هناك لبضعة أيام. وجدك يقول إنك تعرف كيف نصل إلى هناك.

ـ طبعاً اعرف، أتمانعين لو أتيت معك؟ هناك شابين كنت معهما في الجامعة وصلا هناك يوم أمس، وكنت ذاهباً على كل الاحوال لألقاهما. نستطيع السفر معاً. سيأخذنا صياد السمك، انجيلوس سكوبيلوس، إلى «ايجينا» ومن هناك إلى العاصمة، وسنصل خلال

ساعتين. أين ستنزلين هناك؟

ـ في شقة نيقولاس، في ڤيلا ديتريوس.

ـ هذا جيد، اظن أنني أستطيع البقاء هناك ايضاً. تعالي لنرتب الامور مع انجيلوس الآن.

في الصباح التالي شق مركب انجيلوس الماء من ميناء سكيوس الى جزيرة ايجينا. التي بدت بعد ثلاثة أرباع الساعة وكأنها من صنع ساحر من خلال أشعة الشمس، بجبالها الخضراء، والمربعات الشاحبة لبيوتها وهي تتسلق حافة الجبل خلف الميناء. وبعد خمس عشرة دقيقة كانت هي وجون على متن مركب كبير متجهين نحو العاصمة، ضمن مجموعة كبيرة من سكان الجزيرة الذاهبين للتبضع هناك، بعد خمس وثلاثين دقيقة وصلا إلى شاطىء بيرايوس وركبا سيارة أجرة في طريقهما إلى ڤيلا ديتريوس في ضواحي اثينا.

بعد عدة أشهر من هذا التاريخ، بينما كانت تستعيد ذكرى هذه الأيام التي قضتها في أثينا بدت لها كأنها كانت آخر أيام مراهقتها، آخر أيام شعرت فيها بعدم المسؤولية، آخر أيام أمضتها دون التفكير بأي إنسان، في الماضي أو في المستقبل، آخر يوم قبل أن تقع في الحب للمرة الثانية في حياتها.

تقع ڤيلا ديتريوس، في الجزء الحديث من أثينا قرب مونت ليكافيتوس وكانت واحدة من عدة ڤيلات تخفيها جدران بيضاء وأشجار عالية، تؤلف منظراً رائعاً في الطريق من المدينة إلى الاكربوليس.

الڤيلا من داخلها كانت واسعة، أرضها من الموزاييك، ولها أعمدة عالية، وأخذ جون يشرح لمدبرة المنزل من تكون كيلي، واستقبلتها المرأة بالترحاب، أكثر مما فعلت تينا في البداية. وأخذتها عبر سلالم عريضة إلى مجموعة غرف تخص نيقولاس. وسألتها مدبرة المنزل بانكليزية حذرة «هل ستمكثين هنا لمدة طويلة، كيريا؟».

ـ الليلة، وربما ليلة الغد.. لست متأكدة بعد، ذلك يعتمد على رجوع نيقولاس... زوجي. سأقول لك متى.

كانت انتهت من إفراغ حقيبتها، عندما سمعت قرعاً على باب غرفة الجلوس. وعلمت أنه جون، وتوجهت لتفتح له الباب.

ـ هل انتهيت من ترتيب نفسك؟ أين ترغبين في الذهاب أولاً؟

ـ إلى الاكروبوليس بالطبع.

ـ هل تسمحين لي باستعارة سيارة نيقولاس لنستخدمها في المدينة؟ إنها في الكراج.

ـ تطلب مني الإذن؟ ولماذا؟

ـ أنت زوجته، لذا فما يخصه يخصك. طبعاً نستطيع استخدام وسائل النقل العامة. ولكن هذا يضيع كثيراً من الوقت.

ـ وهل تظن أنه قد يمانع في أن نستخدمها.

ـ سنعرف هذا عندما يعود. هل نستخدمها؟

ـ حسناً، سنستعيرها. أين المفاتيح؟

ـ إنها مع اندروس، سائق جدي.

وسارت السيارة بهما ببطء وسط زحام السيارات إلى أن وصلا إلى ساحة سانتاغما. وقال لها جون بصوت مرتفع ليتغلب على صوت السيارة.

ـ سنعود إلى هنا لتناول الغداء، وسنلتقي صديقي تشاك وليلي. لقد اتصلت بهما من المنزل.

وأدار مقود السيارة، ليسيرا في طريق ضيق. وقال لها جون:

ـ هذا المكان يدعى البلاكا. هنا كانت أثينا كلها قديماً، تكون في افضل أحوالها ليلاً عندما تفتح الحانات، أي «التيفرناس» سنعود إلى هنا مساءاً لتناول العشاء.

وأوقف جون السيارة. وانضما إلى مجموعة السواح ومعظمهم من

الألمان والأميركان الكبار في السن، حيث سار الجميع إلى آثارات أثينا، وتوقفا عند باحة خارجية قال الدليل إن الملك ايجوس شاهد منها الأشرعة السوداء في البحر حيث نسي ابنه تيسوس أن يبدلّها خلال عودته من كريت، واعتقد أن ابنه قد قتل، فوضع حداً لحياته بطريقة مأساوية.

وقال لها جون «تعالي، لنذهب لوحدنا، أستطيع إخبارك بكل شيء تريدين معرفته، على كل عندما تعيشين هنا بصورة دائمة، تستطيعين القدوم إلى هنا يومياً إذا شئت».

وتابع قوله عندما وصلا إلى معبد النصر «يجب أن تأتي الى هنا عند مغيب الشمس، أو في الموسم، لحضور عرض الصوت والصورة».

وتمنت لو ان نيقولاس معها الآن بدل جون، ولكن الفكرة غادرت ذهنها فوراً. لماذا اعتقدت أنها ستتمتع بوجوده معها أكثر؟ لم تكن بحاجة لوجود أحد لتمتع نفسها، وتعلمت ذلك بعد مقتل خطيبها. ولن يعني لها أي شخص أكثر من الآخر لما تبقى من حياتها، ولن تعطي أي شخص أي أهمية أكثر من نفسها، لقد أقسمت على ذلك يوم خسرته، من الصعب على الإنسان أن يحب شخصاً أكثر من نفسه، ثم يخسره أو يموت.

والتفتت إلى جون وقالت «دعنا نعود إلى تلك الساحة... ما اسمها؟ سانتاغما، لنقابل صديقاك».

ونظر اليها جون بدهشة وقال «ولكننا لم نشاهد كل شيء بعد، لم نذهب إلى المتحف او إلى مسرح ديونيسس».

ـ لقد شاهدت ما فيه الكفاية، هيا بنا.

وذهب معها دون ان يجادل، ولم يمض وقت حتى كانا يجلسان في مقهى مكتظ في الساحة عند طاولة في مؤخرة المقهى.

وأحبت كيلي المكان. ففي صخب أصوات الناس وأحاديثهم كانت

www.liilas-romance.com

تنسى نفسها ومشاكلها. ووصل أصدقاء جون، صديقه الشاب كان طويل الشعر وملتحياً، يرتدي الجينز وتي شيرت وسترة من قماش قطني، والفتاة لها شعر طويل بلون العسل وابتسامة عريضة جميلة، وكلاهما يشعران بالإثارة من زيارتهما الأولى إلى اليونان.

بعد الغداء، ركبوا في السيارة وخرجوا من المدينة على طول الطريق الساحلي إلى كاب سوثيون، التي تتعرج عبر المنتجعات الساحلية، ليصلوا الى خلجان صغيرة جميلة نجت من زحف العمران. جبال من الملح الابيض تتجمع فوق أحواض تجفيف الملح في «انافيسس». ثم أصبحوا اخيراً في سوثيون، وعلى الرغم من الإضافات السياحية البشعة كانت الأعمدة في معبد البوسيدون لا تزال بيضاء نقية، لها تأثير غريب تجاه زرقة السماء.

وبقوا هناك إلى ان رأوا الشمس تغيب عند أحد جوانب المعبد والقمر يشرق من الناحية الأخرى، ثم غادروا المكان عائدين إلى أثينا، ووصلوا إلى البلاكا، في الوقت الذي كانت الحانات تفتح ابوابها عند التاسعة والنصف. وأخذهم جون إلى مكان مفضّل لديه. الطعام هناك رغم بساطته كان لذيذاً وعندما بدأ الرقص، انضموا إلى الراقصين.

كانت الليلة عيد الفصح الشرقي. وعند منتصف الليل، خرجوا مع الناس في الشوارع، باتجاه مونت لايكابيتوس، ليشاهدوا جانب التلة وقد أضيئت بآلاف من الشموع التي يحملها الناس العائدون من كنيسة سان جورج، بينما القوارب تذيع نبأ قيام المسيح.

عندما عادا الى البيت كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة ليلاً. المدخل كان مضاء بنور خفيف، وصعدا فوراً إلى الطابق العلوي. على باب جناح نيقولاس، استدارت كيلي لتحيته، فأمسك بها وعانقها قائلاً دون أن يخفض صوته «دعيني أدخل معك وأمضي الليل».

ـ لا تكن سخيفاً!

ودفعته عنها، وأدارت مقبض الباب، فقال لها:

ـ الأمر ليس سخيفاً. لقد أحببتك وأرغب بك.

ـ ألم تنسى شيئاً؟، أنا متزوجة من قريبك...

ـ إنه زواج توافق، اتفاق عمل.. لقد قلتِ هذا بنفسك، لذا ليس هناك شيء يمنعك من إقامة علاقات مع رجال آخرين. وماذا تظنين أن نيقولاس يفعل الآن في نيويورك؟ أتعتقدين أنه مخلص لك؟

ـ تصبح على خير!

ودخلت إلى الغرفة، وقبل أن يستطيع اللحاق بها أقفلت الباب في وجهه. ووجدت المفتاح وأدارته بالقفل، واستندت إلى الباب.

وقال جون «حسناً أظن أنك محقة».

ـ أعرف أنني محقة!

ـ تصبحين على خير إذاً.

وأطلقت تنهيدة، واستدارت إلى داخل الغرفة. وأحست برعدة تسري في عروقها. كان هناك شبح يظهر خلال الضوء الخفيف لأضواء المدينة المتسللة من النافذة، لرأس رجل وكتفيه. وبصمت حدقت وهي تتساءل ما إذا كانت هذا تخيلات بسبب تمازج الضوء والظلال في الغرفة. ثم بدأ الشبح يتحرك، وسمعت وقع خطوات تتقدم فوق سجاد الغرفة باتجاهها.

وجمدت كيلي حيث هي، وأرادت أن تتكلم ولكنها كانت غير قادرة على دفع الكلمات خارج حلقها الجاف، وسمعت تكتكة وأضاء نور المصباح على الطاولة، وانتشر نوره إلى فوق وإلى تحت، وقد أضاء الشخص الآخر من وسطه الى الأسفل، وأظهر أنه يرتدي بيجاما سوداء فوقها روب حريري. من فوق وسطه كان لا يزال في الظل،

ولكنها استطاعت أن تميزه، وخرجت الكلمات منها تنم عن الارتياح وهي تخطو نحوه.

ـ نيقولاس.. ماذا تفعل هنا؟ قيل لي إنك لن تعود قبل الاثنين أو الثلاثاء على الأقل.

ـ تمكنت من الحضور قبل الوقت المحدد. حضرت الى روما، ثم أتيت من هناك بطائرة بعد الظهر ووصلت الى هنا منذ ساعة. وقررت أن أبقى هنا لعدم تمكني من الذهاب إلى سكيوس. لم أكن أعرف انك هنا، يبدو أنني نمت لنصف ساعة قبل ان أسمعك انت وجون تتحدثان في الخارج.

ـ ألم تخبرك مدبرة المنزل بوجودي هنا؟

ـ لا.. ربما اعتقدت أنني أعرف. والآن جاء دوري بالسؤال. ماذا تفعلين هنا؟

ـ إنها فكرة والدك بأن نأتي أنا وجون لنمضي يوماً أو يومين هنا.

ـ فهمت. وأين كنت إلى هذا الوقت المتأخر؟

ـ في البلاكا. كنا نرقص، وبعدها شاهدنا مسيرة الشموع. إنه منظر رائع. لم أشاهد أجمل منه في حياتي.

ـ لقد شاهدته من هنا، يمكنك مشاهدة الكثير من هذه النافذة.

ـ اوه، كنت اتمنى لو كنت أعرف.

ـ تعرفين ماذا؟

ـ لا شيء.. مهم.. لقد أمضينا يوماً جميلاً. وغداً...

ـ تابعي كلامك، ماذا ستفعلين غداً؟

ـ لقد كنا سنذهب إلى دولفي، ونمضي الليلة هناك ثم نعود يوم الاثنين. ولكن بما أنك هنا الآن. لن نتمكن من الذهاب.

ـ ولمَ لا؟. لا تتركي عودتي تؤثر على ما خططت لفعله.

واستدار باتجاهها مرة اخرى، ولكنه بقي في الظل بحيث يراها ولا

تستطيع رؤيته جيداً. «زواجك مني لا يعني أن عليك تقييد حركتك عندما أكون موجوداً. الزواج لا يعني أن نبقى مقيدين ببعضنا».

ـ أعتقد هذا، ربما يجب أن أشرح لك. لقد خرجنا اليوم بسيارتك السبور وكنا سنستخدمها غداً. أنا.. أنا أتمنى أن لا تمانع.

ـ طالما لن تعطلاها فلا امانع. ولكنني أقترح بأنكما ستشعران براحة أكثر في سيارة والدي الكاديلاك، إذا كنتم أربعة. فالمسافة تبعد مائة وسبعين كيلومتراً عن أثينا. اذا أحببت سأبلّغ السائق بأنكما تستطيعان استعارتها.

ـ هذا لطف منك، أتفعل هذا؟

وشعرت فجأة بشيء من التوتر بينهما. وبدأت تتحرك نحو الفسحة الصغيرة المضاءة من أضواء غرفة نومه. وقالت:

ـ أظن أنني تعبت من الرقص كثيراً هذه الليلة، وسأكون مسرورة للذهاب إلى الفراش.

وأدارت وجهها نحوه وهو يتبعها «تبدو أنت تعباً ايضاً. أنا آسفة لأننا أزعجناك. هل كانت رحلتك إلى هنا متعبة؟».

ـ ليس اكثر من المعتاد.

ـ إذاً تصبح على خير.

ودخلت من الفسحة إلى داخل الغرفة التي تركت أغراضها فيها، وقال نيقولاس:

ـ سأنام في الغرفة الثانية، وستنامين معي. لقد كان من الحكمة أن ترفضي النوم مع جون الشاب، ولكن سيكون عكس ذلك لو رفضت النوم معي. لقد دفعت الكثير من المال لتكوني معي. وأظن أنني أوضحت عندما طلبتك للزواج أنني اتوقع قيمة ما دفعت.

ـ دفعت؟

www.elromancia.com

والتفتت برأسها وحدقت به. وبدا وجهه في الضوء الباهت المنبعث من الغرفة الأخرى، وقد استعاد ذلك المظهر الشيطاني الذي لاحظته منذ البدء، وعيناه شديدتا السواد، دون أي انعكاس حتى وكأنهما حفرتين في رأسه. وسألته بإلحاح «ماذا تعني أنك دفعت؟».

ـ أنسيّت العقد بيننا؟ أنسيت أنني استثمرت عدة مئات من آلاف الجنيهات في أعمال نشر فاشلة؟ أعرفت الآن ماذا أعني بقولي إنني دفعت لك لتشاركيني الفراش؟

ـ أنت.. أنت.. وغداً!

وحاولت سحب يدها من يده لتصفعه، ولكنها فشلت. وقال لها ساخراً:

ـ كنت أتساءل متى ستهبطين إلى مستواي في كلامك.

ووضع يده الأخرى على رقبتها بحيث لم تعد قادرة على تحريك رأسها، وانحنى برأسه نحوها وقال «لا تجعلينا نتشاجر يا كيلي لنذهب إلى الفراش».

ـ لا.. أنا...

ـ انت تعبة جداً.. أهذا ما كنت ستقولينه؟

وأطبقت اصابعه على رقبتها حتى شعرت بأنفاسها تنقطع ثم انزلقت نحو التجويف تحت حنجرتها وقال لها همساً:

ـ لقد تركت عذرك يمر في تلك الليلة لأنني عرفت أنك كنت فعلاً تعبة. ولكن هذا لن يمر اليوم. تعالي معي.

كانت كيلي ترتجف جاهدة لمقاومة إغراء لمسة اصابعه، وقالت له وهي تحاول أن تجعل صوتها هادئاً «أرجوك، اترك لي عدة دقائق... لأغيّر ملابسي».

ـ وتتركيني أنتظر؟، أو تقفلي الأبواب في وجهي؟ لا مجال..

وعصرت أصابعه أصابعها لتلويها، وفتح الباب ودفع بها إلى الغرفة

وأقفل الباب «فراش لا يختلف عن فراش آخر عند النوم» قال لها ساخراً ثم لف ذراعاه حولها وقال هامساً:

ـ إنها المرة الأولى في حياتي التي اعود بها إلى المنزل لأجد زوجة تنتظرني بعد سفري. ألا ترحبين بي يا كيلي. هل اشتقت لي؟

وقالت له كاذبة، وهي تحاول تخليص نفسها منه:

ـ ابداً، بالمرة..

ـ في المرة القادمة عندما اسافر ستشتاقين لي. سأجعل الأمر مؤكداً الآن.

وضمها إليه بشوق وأخذ يعصرها بين ذراعيه، فتمتمت:

ـ لا، يا نيقولاس.. ليس الآن..

ولكنه لم يسمع، واستمر في عناقها.. وحاولت محاولة أخيرة أن تنسحب، حاولت أن تستجيب للصوت الخافت الذي بقيّ يحذرها ويذكّرها بأنها في خطر، وبأن موقفاً كهذا هو ما تحاول تجنبه. ولكن نيقولاس لم يتركها، فقد أصبح شوقه اليها أبعد من السيطرة، وأعطاه قوة تغلبت على إرادتها تماماً.

استفاقا في الصباح على قرع الباب وصوت ينادي باسمها، ولكنها كانت غارقة في نومها اللذيذ، وتشعر براحة كبيرة بحيث لم تتحرك لتردّ وتمتم نيقولاس «لا بد أنه جون، ألا زلت راغبة في الذهاب إلى دولفي معه».

ـ لا.. فأنا أرغب في البقاء معك.

ـ هذا تفكير سليم منك سيدة ديتريوس.

ورفع رأسه ينظر إليها في ضوء الشمس، وتمتم شيئاً باليونانية عندما سمع الصراخ وقرع الباب ثانية وقال «سأتعامل معه» وانزلق خارجاً من السرير. وعندما عاد سألته:

www.elromancia.com

- ماذا قلت له؟

- قلت له إنك لن تأتي معه لأنك ذاهبة معي في رحلة شهر العسل.

- شهر العسل؟

وجلست فجأة، واستدارت لتنظر اليه، كان مستلقياً على ظهره ويداه تحت رأسه وهو ينظر اليها وأجابها:

- هذا صحيح، معظم الأزواج يبدأون زواجهم بشهر عسل.

- صحيح . . ولكن إذا كانا يحبان بعضهما.

- هكذا إذاً؟ ونحن ألا نحب بعضنا.

وأبعدت عينيها عنه. وهي تشعر بالرغبة فيه ثانية. وقالت:

- لا . . لا أعتقد أننا نحب بعضنا. فنحن لا نعرف بعضنا جيداً لنقع بالحب.

- أتعنين أنك يجب أن تعرفي الشخص قبل أن تحبيه؟

- أجل.

- بالنسبة لي الأمر يختلف. كل ما يلزمني نظرة، وأقع في الحب.

- ولكن هذا ليس حباً.

- ما هو إذاً؟

- إنه . . . إنه فقط . . . رغبة حسية.

- وبداية الحب.

وأحاطها بذراعيه، وجذبها نحوه وهمس:

- هذا رائع . . . لمسك، والشعور المتبادل بيننا.

«إنه فعلاً رائع» وضغطت بجسدها عليه ترد على عناقه.

٥ ـ خارج القفص

بعد شهرين من ذلك الوقت، جلست كيلي إلى جانب بركة السباحة في ڤيلا باولوس على جزيرة سكيوس تقرأ رسالة من أخيها جو، كتبها بطريقة مسلّية جعلتها تبتسم. لقد نجح في سنته الدراسية وشرّف اسم ميلتون، وهو يأمل باجتياز امتحانات القبول في السنة الأولى من المرحلة القادمة. وأن يعمل في مؤسسة ميلتون بعد إنهاءه الدراسة. وقال إنه دخل في المسابقات الرياضية النهائية في المدرسة ويتمنى لو تأتي شقيقته لمشاهدته، وهو يخوض مباريات الجري. ويتوقع ان يكسب في مسافة الميل ومباراة الماراثون. لقد قرأ في مكان ما أن نيقولاس ديتريوس كان في السابق عدّاء واشترك مرة في الألعاب الاولمبية ممثلاً اليونان في عدة لقاءات رياضية عندما كان شاباً.

واتكأت الى الخلف، وأغمضت عينيها، شمس حزيران كانت حادة وقريباً ستضطر إلى الاحتماء من حرّها داخل المنزل. كان الهواء مشبعاً برائحة الأزهار التي كانت متفتحة في الحدائق، وخلف الجدران كانت أشجار الصنوبر تئن تحت وطأة نسيم البحر.

وأخذت تفكر في الاسبوعين اللذين امضياهما بالترحال بين جزر بحر إيجة على يخت آل ديتريوس. لقد كانت أيام لا تنسى، أيام شهر العسل، ويبدو لها الآن أن تلك الأيام كانت أسعد أيام حياتها وذكراها

www.liilas.com

كانت تظهر دائماً أمام ناظريها وفي افكارها وكأنها صور سينمائية، وستتذكرها على الدوام، مهما حدث في المستقبل.

بعد مغادرتهما بيرايوس، تجولا حول الجزر، كان افضلها لديها جزيرة ديلوس، ببقايا المرمر في المعابد القديمة، إنها مكان للخرائب الصامتة يزّينها صف من الأسود الرخامية، تتوهج في ضوء مغيب الشمس.

كانت ليندوس، على جزيرة رودس وكأنها قد وضعت في قلب البحر الأزرق، تنتشر تحت أسوار صفراء اللون لحصن قديم كان يحمي بقايا أعمدة معبد، والمياه عميقة بحيث أن اليخت رسا بهما على الشاطىء، ونزلا إلى البر ليركبا الحمير إلى قمة الجبل، ليتفرجا من ذلك الارتفاع على المراكب القليلة الراسية على الشاطىء.

من مدينة رودس نفسها لا تذكر سوى مدخل ميناء مندراكي، والبرجين التوأمين على جانبيه، والقلعة الصليبية، وشوارعها الضيقة المليئة بالحانات والحوانيت.

ولكن ما تمتعت به حقاً كانت الجزر الأصغر والأقل شهرة والأقل سكناً. ورسخت في ذهنها ذكريات عن أهل تلك الجزر المضيافين، وعن الطعام البحري الطيب المذاق، وفوق كل هذا تمتعها بالحياة إلى جانب نيقولاس، في أي مكان وفي كل مكان، وازدياد سلطته عليها، سلطة كان يستخدمها متى استطاع، ليستعبدها أكثر. فنيقولاس اشتراها، وهي من ضمن أملاكه، وكان هذا وضعاً مذلاً ومليئاً بالعار بالنسبة لها، وهي تعترف بذلك، ولكن كل شيء سيمر، سينتهي... عندما تتركه.

وحتى ذلك الوقت ستلعب اللعبة التي أراد لعبها بنفس مهارته، تستطيع أن تعيش معه، ثم تمضي في طريقها غير عابئة، ودون أن

تورّط عواطفها في الأمر.

عندما عادا الى أثينا فاجأها بأنه لم يأخذها إلى ڤيلا ديتريوس، بل إلى منزل أصغر، نسخة حديثة من البيوت اليونانية التقليدية، بجدران سميكة بيضاء، وقناطر، وساحات مليئة بالزهور يمكن رؤيتها من الطريق الرئيسي المليء بأشجار الصنوبر. وشعرت بالسرور من كل شيء فيه، حجمه، ترتيب الغرف على أحدث طراز، فخامة الأثاث وكل شيء.

وقال لها نيقولاس بكل بساطة «هذا لك» وردت عليه «ولك أيضاً» واجاب «لا، لك فقط» وتحيّرت فحاولت أن تسأل «ولكن...» ورد عليها بهدوء «إنني أقدّمه لك كهدية زواج متأخرة. المنزل مسجل باسمك، ولو رغبت في بيعه، ستحصلين على الثمن لك».

ـ ولكنك بالطبع ستعيش هنا، عندما نكون في اثينا؟

ـ أحياناً، أجل، عندما أرغب في أن اكون معك. مثل الآن.

وتقدم منها ليحتضنها...

بعض الأحيان، كان يحضر إلى هناك، معها. هكذا جرى الأمر بينهما. لم يشاركها البيت كزوج وزوجته، وهكذا أوضح كيفية نظره إلى علاقتهما، علاقة مدبّرة، ولم تكن على أي حال أكثر من عشيقة له.

وتحركت كيلي على الكرسي الطويل، وفتحت عينيها والتقطت رسالة أخيها التي وقعت من يدها. ونظرت إلى موعد الاحتفالات الرياضية في مدرسته، وعرفت أنها ستجري بعد أسبوعين. سفرها لمشاهدة أخيها يعدو، سيكون العذر لها لمغادرة اليونان. وفي نفس الوقت ستترك نيقولاس وستعيش في لندن، وإذا أرادها أن تبقى زوجته سيتوجب عليه أن يأتي ويقابلها. حتى ولو جاء فإنها على الأرجح سترفض العودة معه.

سيكون امراً رائعاً أن ترى جو، وأمها، وأن تسوي الصدع الذي حدث في علاقتهما. ربما يمكنها العودة للعمل في الميلتون في قسم التحرير. لقد تعبت من طريقة الحياة المترفة التي تعيشها كزوجة لنيقولاس. وتعبت من المجيء إلى هذه الجزيرة ليراقبها باولوس كلما سافر نيقولاس. وملّت من أن تكون امرأة سجينة.

وجاءها صوت جون مرحاً وساخراً:

ـ مرحباً! يا لحظي. لم أتوقع أن أراك هنا. كيف حالك يا كيلي؟

وأضاف وهو يضحك: «احترسي! جدتك الثالثة مارينا تراقبنا، لا بد أنك تعرفين كم هي ثرثارة. آخر مرة تشاجرت مع نيقولاس بسبب ما أخبرته عن تصرفاتنا».

ـ لا أهتم بما تقوله أو تراه. ماذا تفعل هنا؟ آخر مرة سمعت عنك كنت مسافراً الى اميركا على متن آخر سفينة من سفن ديتريوس.

ـ هذا صحيح... يجب ان أشكر نيقولاس على هذا، أعتقد انه لم يحب أن نكون معاً، لذا أزاحني من الطريق وانتما في شهر العسل. أين هو الآن؟

ـ لقد سافر إلى السعودية لمفاوضة أحدهم على شحن البترول.

ـ ولماذا لم ترافقيه؟

ـ لم يطلب مني.. كيف تجد عملك في البحر؟

ـ إنه عمل شاق. ولكنني أفهم لماذا عليّ أن أكتسب الخبرة إذا كنت سأصبح يوماً من المسؤولين في الشركة. على الأقل هذا ما أخبرت به أمي عندما ذهبت لرؤيتها في نيويورك، لقد أرسلت لك معي رسالة تتمنى لك كل السعادة مع نيقولاس. ستأتي إلى هنا في الصيف لزيارة جدي وشقيقتها. أعتقد أنك قابلت خالتي كاتينا وابنتها، وباقي سلالة ديتريوس.

ـ لقد أقامت لنا كاتينا حفلة كبيرة عند عودتنا من ايجة، حتى أقابل الجميع، لقد كان الأمر رهيباً.. شعرت كأنني بضاعة معروضة.

ـ أعرف هذا، ولكن الأمر ناجح، أعني زواجك بنيقولاس، وجدي مؤمن به، ولا بد أن نيقولاس فخور بنفسه لحسن تصرفه. تقول أمي إن زواجه مجرد تغطية.

ـ وماذا تعني بذلك؟

ـ لست متأكداً ما إذا كان يجب أن اقول لك. أوه.. كم جميل أن اعود إلى هنا ولو لبضع ساعات.

ـ أخبرني.. أخبرني ماذا عنت أمك بقولها؟

وفتح جون عيناً واحدة لينظر اليها بسخرية:

ـ اذكر أنك لم تحبي أن أتكلم عن نيقولاس ومارينا. ولم تريدي معرفة شيء عن الموضوع. وليس لديّ الرغبة في أن تشدي أذني لأنني أقول الحقيقة.

ـ أية حقيقة؟ جون توقف عن التلاعب! ماذا عنت أمك بقولها؟

ـ اوكي.. عندما أخبرتها عنك قالت إنها دهشت لزواج نيقولاس. لقد كان أعزباً على الدوام، وآخر شيء يتوقعه أي عضو في العائلة، هو أن يتزوج. كل ما استطاعت التفكير به هو أنه تزوج ليمنع جدي من التوصل إلى الحقيقة وهي أنه ومارينا عشيقان.

ـ أنت تخترع هذه القصة.

ـ لا.. قسماً بالله يا كيلي، هذا ما قالته، وتناسب قولها تماماً مع ما شاهدته عند قدومي أول مرة في آذار الماضي.

ـ وماذا رأيت وسمعت؟

ـ لقد شاهدت ما كنت تشاهدينه بنفسك. اهتمام نيقولاس بها كلما أتى إلى هنا. ورأيتها تأخذه إلى غرفتها، بحجة أنها يجب أن تتكلم

معه حول صحة جدي. ورأيته يخرج من عندها في ساعات الفجر الأولى، ولكن ما هو أهم، أنني سمعته يتشاجر مع جدي عدة مرات.

ـ حول ماذا؟

ـ معظم الوقت حول وضعه كأعزب، ويوماً اتهمه جدي أنه يعبث بنساء الآخرين، وكأنما هو قد ضمن الوضع بين مارينا ونيقولاس.

ـ وماذا قال نيقولاس؟

ـ لم ينكر، ودافع عن حقه في أن يعيش الحياة التي يريدها دون تدخل أحد. وعندها ألقى جدي قنبلته، وقال لنيقولاس إنه إذا لم يتزوج وينجب وريثاً خلال سنة فلن يحرمه من الوصية فقط بل سيلاحق شخصياً أمر طرده بالقوة، وأصابت جدي نوبة سعال واضطروا إلى وضعه في الفراش. وبقي عليلاً لمدة، ثم أصبح قلقاً من أن يكون نيقولاس قد رحل إلى الأبد، ولكنه شعر بالارتياح عندما استلم رسالة منه يقول فيها إنه تزوج في لندن وإنه سيأتي بزوجته إلى هنا. هل ما زلت تعتقدين أنني أخترع القصة؟

ـ لا.. لا.. لا أعتقد.

لقد كانت تشك دائماً في دوافع نيقولاس للزواج بهذه السرعة من امرأة التقطه عن طاولة القمار، واصبحت الآن تعرف.

وسألها جون وصوته يحمل لمحة قلق «كيلي.. أنت لم تتألمي لهذا الخبر أليس كذلك؟ أعني أنك لم تتزوجي نيقولاس لأجل الحب؟».

ـ لا أنا لم اتألم. واو.. لقد أصبح الجو حاراً هنا، ولا أريد أن أحرق جلدي. كم ستبقى هنا؟

ـ لقد حضرت لبضع ساعات. لأرى جدي وأعطيه رسالة من امي. وساعود إلى أثينا بعد الظهر.

ـ أظن أنني سآتي معك. وهذا سيعطي مارينا شيئاً ترويه عنا لنيقولاس عندما يعود، أليس كذلك؟

ـ ومتى سيعود؟

ـ يوم الخميس أو الجمعة. لست متأكدة.

ووضعت ذراعها في ذراعه وتحركا نحو المنزل. وعبر إحدى النوافذ التي تطل على بركة السباحة لاحظت مارينا واقفة تتجسس. فقالت وقد رفعت صوتها وهما يدخلان إلى الممر داخل المنزل «أنا سعيدة جداً لأنك أتيت يا جون. يمكن أن نمرح معاً في اليومين القادمين. أتذكر ليلة رقصنا معاً في البلاكا؟».

ونجحت خطتها، وسافرت مع جون إلى أثينا، وتمكنت أن تتهرب من الخروج معه تلك الليلة بادعائها الصداع، وفي اليوم التالي حجزت تذكرة ذهاب إلى لندن. عندما يعود نيقولاس من السعودية سيجدها قد ذهبت وكتبت رسالة له تعلمه بالضبط لماذا ستتركه. قالت فيها:

«بعد أن عرفت السبب الحقيقي لحاجتك إلى زوجة أجد نفسي غير قادرة على العيش معك. لم أعرف في حياتي ولداً يخون والده بمثل هذه الطريقة الباردة. أجدك حقيراً لأقصى درجة، لذا فسأتركك، لأعطيك فرصة طلاقي حسب الاتفاق بيننا. آمل ان لا أراك ثانية، لذا أرجوك أن لا تحاول اللحاق بي».

بعد استلامه مثل هذه الرسالة، لن يحاول أبداً أن يجبرها على العيش معه. كانت فخورة بهذا القرار ولم تشعر بالندم أبداً لتركه، على الأقل ليس الآن، وبدأت تفكر بينما كانت الطائرة تقلع، وهي تشاهد الأبنية الحديثة والأثرية لأثينا تختفي تحت جناح الطائرة، بأن هناك أشخاص يمكن أن يسعدوا برحيلها مارينا مثلاً. وأمها أيضاً.

كان عليها أن تعترف بأنها شعرت ببعض الخوف عندما وصلت أخيراً الى منزلهم في ريتشموند. افتراضاً أن امها رفضت أن تراها؟ افتراضاً أنها طردتها؟ ولكن نظرة واحدة إلى وجه أمها عندما فتحت لها الباب أعلمتها ان قلقها كان دون مبرر.

وهتفت أمها وهي تلف ذراعيها حول ابنتها وتنفجر بالبكاء:

ـ كيلي.. أوه.. كيلي.. كم أنا سعيدة برؤيتك.

عندما كانتا تجلسان فيما بعد على مقعد مريح في غرفة الجلوس، قالت لها أمها «لم يكن من الواجب أن أقول لك ما قلته ذلك اليوم على الهاتف. لقد ندمت عليه كثيراً. لقد كانت صدمة أن اسمع أنك تزوجت فجأة ولمثل ذلك السبب».

وأجابتها كيلي وهي تطيب خاطرها «لقد أدركت هذا يومها. ولكن نيقولاس كان مستعجلاً وكان عليّ أن أخبرك ماذا فعلت وإلى أين أنا ذاهبة، لقد انتهى كل شيء الآن».

ـ انتهى؟ ماذا فعلت الآن؟

ـ لقد تركته..

ووقفت، وتوجهت نحو النافذة، ويداها في جيوب بنطلونها، كان شفق المغيب قد بدأ، ومن بين أغصان الشجر التي تصطف حتى النهر، كانت تشاهد ماء النهر يلمع كالفضة، وبدأت النجوم تلمع في السماء. كم سيكون الوقت الآن في اليونان؟ يمكن أن يكون نيقولاس قد رجع الآن، الى سكيوس، وهو يتحدث مع مارينا، او ينام معها. وتلبدت الغيرة فجأة في صدرها، وتنهدت عميقاً.

وسألتها امها وصوتها يبدو عليه الحزن:

ـ تركت من؟.. ليس... ليس زوجك؟

ـ نعم لقد تركت نيقولاس.

ـ ولكنكما متزوجان من مدة قصيرة... منذ...

ـ شهرين ونصف، لم اكن أنوي تركه بهذه السرعة، بل أن أستمر معه لوقت أطول، على الأقل سنة.. ولكن... ولكن... عندما اكتشفت أن البقاء معه أمر لا يحتمل، استغليت أول فرصة وأتيت إلى هنا.

ـ لا يحتمل؟ ماذا تعنين؟ كيلي أنت لا تعنين أنه من ذلك الصنف من الرجال الذين يتمتعون بتعذيب المرأة؟

ـ لا.. أوه لا... ليس هناك شيء من هذا القبيل. في الواقع كان لطيفاً جداً معي، وكريم أيضاً.

ـ إذاً لماذا؟

ـ أمي.. أنت تعرفين لماذا تزوجته، لأجل المال الذي أقرضه لوالدي. وأنا اعلم أن هذا الزواج لن يستمر إلى الأبد، وأنه سينتهي يوماً ما، وانا استبق هذه النهاية وهذا كل ما في الأمر.

ـ وهل وافق على هذا؟ هل وافق على الانفصال؟

ـ لا أعلم، لم أنتظر لأسأله. ولكن أظن أنه سيوافق.

ـ يبدو لي الأمر محيراً.. هل انت متأكدة أنك لم تخالفي بنود الاتفاق بينكما، بتركك له؟

ـ ربما.. لست متأكدة. سأعرف فيما بعد.

وشعرت فجأة بالإرهاق، وهمست ورأسها مسند على زجاج النافذة.

ـ لم أعد أستطيع البقاء وقد علمت لماذا تزوجني، لم اعد أستطيع وقد علمت ماذا فعل.

ـ لو تكونين واضحة أكثر بكلامك، كيف لي أن أفهم تصرفك عندما تتحدثين بهذه الطريقة الغامضة؟ كيلي، اسمعي، أنا لست

مندهشة لما حصل، فأنت لم تتزوجي لأجل الحب، لو أنك تحبينه لما تركتيه لأنه فعل شيئاً لا يعجبك.

ـ لقد تركته لأنني اكتشفت أنه تزوجني لتغطية علاقة غرامية مع زوجة ابيه الثالثة...

قالت هذا وهي تصرّ على أسنانها وتلتفت لتحدق بأمها وتابعت.

ـ أتستطعين البقاء مع رجل يفعل هذا؟ حتى ولو كنت تحبينه؟

وشهقت بريدجيت وهي تصرخ مرعوبة:

ـ أوه.. يا إلهي! ان الامر أسوأ من المآسي اليونانية الفظيعة التي كان والدك يحب رؤيتها على المسرح.

ـ لا، ليس اسوأ، ولكنه بنفس الفظاعة تقريباً، او قد تكون لو تركت لتتطور. ولكنني لم أستطع البقاء لأكون مشاركة في خداع رجل عجوز، حتى ولو كان عجوزاً مراوغاً وشيطاناً محتالاً توصل لأن يكون ثرياً بدوسه على الناس ومخادعتهم.

ـ لا.. أنت على حق.. أظن أنك لا تستطيعين البقاء. فلسنا ذلك النوع من الناس الذين يرضون بأن يكون لهم صلة بمثل هؤلاء. لا استطيع تصور كيف تورط دايفيد مع مثل هذه العائلة. أنت على حق بالعودة يا كيلي، وكل ما آمله ان لا يأتي ذلك الرجل ويعود لتوريطك بعلاقته الغرامية ثانية.

ـ أعتقد أنه لن يفعل..

وكانت على حق، فنيقولاس لم يلحق بها، ولا راسلها مباشرة بل عبر السيد فينثون المحامي الذي كتب الاتفاق، رسالته أراحت بالها بطريقة ما، فقد تلقى رسالتها وسيلتزم بقرارها عدم العودة إلى اليونان ولن يلحق بها إلا اذا دعته رسمياً لزيارتها. وطلب من السيد فينثون أن يدبّر موضوع تحويل مخصصها إلى حسابها المصرفي في لندن،

ويأمل بأن يوافقها هذا. وسألته كيلي:

ـ والعقد؟ ذلك الذي وقعناه قبل الزواج، ألا يزال قائماً؟

ورد عليها السيد فينثون بطريقته الباردة وهو يرمقها باستهجان:

ـ لم يذكره السيد ديتريوس.. اظن أنك قلقة حول المال الذي يستثمره في مؤسسة ميلتون؟

ـ نعم.. هذا صحيح.

ـ إنك في أمان تام... واذا كنت لا تذكرين.. هناك فقرة في الاتفاق تغطي مثل هذا الوضع: في حال الانفصال أو الانهيار التام للزواج، لا يحق للسيد نيكاريوس المطالبة بالدين الذي كان على والدك.. هل يوضح هذا، الأمر لك؟

وهزت كيلي رأسها، وقد شعرت بوجنتيها تحمّران تحت نظرته الساخرة. فقد أوضح السيد فينثون إلى أي جانب يقف.

في اليوم التالي ذهبت إلى الميلتون لتقابل السيد هاري كوغسويل، رئيسها السابق، لتطلب منه استعادة وظيفتها ولكنه قال لها:

ـ هذا غير ممكن.. لقد ملأت مركزك حالما تركتيه. فتى اسمه هاكت، خريج اوكسفورد، وجيد جداً ايضاً.

ـ أفضل مني؟

ـ أفضل بكثير. يبدو أن زواجك وصل إلى الانفصال بسرعة؟

ـ أجل.. وإلا لما اضطررت للبحث عن وظيفة.

ـ لا تقلقي، فنيقولاس ديتريوس قادر على إعالة عدة زوجات سابقات، وحتى عشيقات أيضاً.

ـ ليست هذه هي المشكلة يا هاري.. اريد أن أشتغل، لقد اشتقت للعمل عندما تركت هناك. ألا تستطيع «حشري» في مكان ما؟ على كل أنا أملك حصصاً في الشركة.

ـ حسناً، اعطني بضعة أيام للتفكير، سأتصل بك.

ولم يتصل قبل نهاية حزيران، وكانت حتى ذلك الوقت قد قابلت جو بعد أن حضرت مهرجان الألعاب الرياضية في مدرسته، وشاهدته وهو يحرز البطولة. وبدا لها أنه أصيب بخيبة عندما علم أنها انفصلت عن نيقولاس. وقال:

ـ أوه.. هل هذا صحيح... كنت آمل أن التقي به وأن أقضي عطلة في اليونان في تلك الجزيرة التي كنت تسكنين عليها.

وردت عليه وهي تتساءل في نفسها لماذا شعرت فجأة بالغثيان والدوار.

ـ انا آسفة..

عدة مرات في ذلك الاسبوع هاجمها الغثيان والدوار، وذعرت وسارعت إلى تحديد موعد لزيارة عيادة المستشفى لإجراء الفحوصات.

وفي العيادة تأكد لها أنها حامل، وهذا ما كانت مصممة على تجنبه ولا يمكن إلا أن تلوم نفسها لحدوثه. ودون أن تبلغ أحداً، حتى والدتها، عن المشكلة الجديدة، زارت أطباء وعيادات اخرى خلال الايام التالية، وبعد الاستماع لنصائحهم، وقضاء عدة أيام وليالي مزعجة في صراع مع ضميرها، قررت أن ليس هناك طريقة أمامها لتغيير الواقع.

وقررت أن لا تخبر نيقولاس. فقد يأتي ويأخذ الولد منها حالما تلده، لأن من شروط العقد أن له حق الوصاية على أي طفل يولد لهما. ولقد علمت الآن لماذا أصرّ على هذا الشرط.

يجب ان يبقى الأمر سراً إلى موعد الميلاد، ويجب عليها أن تختبىء في مكان ما، وأن تجد وظيفة في الريف. ولكن كيف، وأين؟

كل يوم كانت تراجع الإعلانات في الجرائد على أمل إيجاد وظيفة تناسب غرضها. لا بد أن شخصاً ما يريد مدبرة منزل لبيت ريفي أو لقصر في براري اسكتلندا او وايلز؟ لا بد أن احدهم يبحث عن مربية لأطفاله الصغار؟ ام أن هذا النوع من العمل لا يوجد سوى في مخيلتها؟

واخيراً اتصل بها هاري كوغسويل.

ـ هل سمعت بكايل برنتون؟

ـ اجل.. إنه من رواد الأدب الكلاسيكي، لقد نشرنا له كتاباً منذ سنوات.

ـ صح.. إنه في سبيله لكتابة كتاب آخر. يبحث فيه أثر الاساطير اليونانية على الأدب خلال العصور، ولكنه يحتاج الى مساعدة في الفهرسة والهوامش وإلا فسيتأخر عن جدوله. أتهتمين بمساعدته؟ هذا يعني أن تعيشي معه في منزله في مكان ما في اسكتلندة، لبضعة شهور، على الأرجح حتى عيد الميلاد القادم. ولا تقلقي حول ملاءمة هذه الفكرة أم لا فزوجته موافقة، وخاصة عندما عرفت أنك ابنة دايفيد.

ـ أجل يا هاري أنا مهتمة بالموضوع. متى يريدونني؟

ـ فوراً.. هل لديك قلم؟ سأعطيك العنوان، اتصلي بهم شخصياً.

وكتبت كيلي إلى كايل برنتون على الفور، وبعودة البريد كانت الوظيفة قد تأمنت.

بعد ثلاثة أيام، سافرت كيلي بالقطار الى دمفريز، غير مصدقة كم حظها جيد، وهناك قابلتها هيلين برنتون، وهي امرأة بخدين حمراوين، رمادية الشعر، ترتدي بذلة على أحدث طراز من الصوف الملون.

وقالت لها وهي تقود سيارتها خارج المحطة:

ـ لم نلتقِ من قبل، ولكنني أعرفك منذ أن ولدتي. كان دايفيد يتحدث عنك دائماً. كان صديقاً عزيزاً لنا، وأسفنا جداً عندما قتل. ولقد كتبنا لوالدتك نعزيها.

ـ أجل، هكذا قالت لي عندما ذكرت لها أنني قادمة للسكن معكما.

ونظرت إلى الشارع الذي كانتا تمران به. كانت المنازل كلها مبنية بحجارة رملية حمراء، بدت معتمة وكئيبة تحت المطر الذي كان ينهمر وتابعت متسائلة «هل المسافة بعيدة إلى منزلكم؟».

ـ حوالي العشرين ميلاً. إنه على الساحل. كان منزل عائلة والدي، وهو مزرعة قديمة. عندما توفي أبي وتركه لي. استخدمته أنا وكايل، لقضاء عطلاتنا. وطبعاً منذ أن بدأ العمل في كتابه، عشنا هناك طوال الوقت. أظن أنه سيعجبك.

ـ وهل دمفريز أقرب بلدة؟

ـ بحجمها.. نعم..

ـ وهل فيها مستشفى؟

وكانا يمران امام كنيسة فيها تمثال يحمل رمحاً طويلاً.

ـ أوه.. من هذا؟

ـ إنه تمثال روبي بورنز، كان يعيش في مكان ما من هذا الشارع.

وغيّرت هيلين سرعة السيارة وهي تقترب من ازدحام سير بسيط واضافت:

ـ وهناك مستشفى أيضاً. لماذا تسألين؟

ـ أحب أن أعرف المنشآت الموجودة.

وتابعت السيارة طريقها فوق جسر ثم بدأت تصعد تلة. وقالت

هيلين «ستجدين المقاطعة هنا مليئة بالأماكن التاريخية والعلمية».

واستدارت السيارة نحو طريق أخذ يصعد تلة ثم ينخفض وبعد برهة شعرت بالدوار. وكانت على وشك أن تطلب من هيلين التوقف حتى تلتقط أنفاسها عندما انعطفت السيارة داخل بوابة وسارت في ممر قصير لتقف على قمة طريق مرتفع أمام منزل ريفي طويل ومنخفض تلمع الأضواء في نوافذه.

كايل برنتون، كان رجلاً طويلاً، له هيئة العلماء. ونظر إلى كيلي نظرة متفحصة عندما صافحها وقال «يا الهي أنت صفراء اللون، هل تشعرين بالمرض؟».

ـ قليلاً، سأشعر بتحسن.

ـ لا بد أن قيادة هيلين هي السبب انها لا تعرف معنى التمهل، تنعطف معظم المنعطفات على دولابين. إذاً انت ابنة دايفيد يجب ان تعلمي يا عزيزتي أننا مسرورين جداً بأن تكوني معنا.

موقع المنزل الريفي كان رائعاً، على هضبة صغيرة، يحيط به حقول خضراء، ممتلىء في ذلك الوقت من السنة بالزهور الربيعية من المارغريت والخشخاش وزهرة الذرة. وكانت الحقول تمتد إلى تحت أقدام التلال والطريق الساحلي، وخلف الطريق يقع شاطىء ضيق مكسو بالحصى يحدّ اللسان المائي الفضي.

عندما بدأت العمل، أخذت الايام تمر بسرعة وسعادة. كان الطقس دوماً جيداً ذلك الصيف، وهناك الكثير من الأيام الصافية حيث كان البحر يلمع تحت السماء الزرقاء الشاحبة. عندما لا تكون تعمل كانت كيلي تسير، أحياناً مع هيلين والكلاب، وأحياناً لوحدها. وعندما مرت أيام الغثيان، بدأت تشعر بالتحسن ولاحظت التغيير. وجنتاها توردتا وعيناها التمعتا، وبدت على أحسن ما يرام.

أحياناً كانت تتساءل، الى متى تستطيع إخفاء واقع أنها حامل عن عائلة برنتون، وعند انتهاء شهر تموز ودخول شهر آب، شعرت بالطفل يتحرك في أحشائها وعلمت أن عليها زيارة الطبيب أو عيادة المستشفى في وقت قريب لتحضّر لولادة الطفل. وبدت لها الصعوبة في تدبير مثل هذه الزيارة في دمفريز دون لفت انتباه هيلين إلى الحقيقة، وهكذا في صباح أحد الايام عند تناول الإفطار قررت أن تخبرهما. وذهلا للخبر.

وقالت هيلين بدهشة «ولكننا لم نعرف حتى أنك متزوجة! فأنت لا تضعين خاتماً في يدك».

- إنه هنا...

ووضعت يدها في فتحة قميصها وأخرجت سلسلة رفيعة من الذهب علقت فيها الخاتم عندما تركت نيقولاس. وتابعت هيلين:

- وأين زوجك الآن؟ وما اسمه؟

وبدا أن كايل كان لا يزال مصدوماً من الخبر. حتى أنه لم يسألها شيئاً واعترفت لهما كيلي «إنه.. نحن.. نحن منفصلان».

وتكلم كايل أخيراً «أيعرف شيئاً حول الطفل؟».

- لا.. لا أريده أن يعرف.. أنا.. أنا لم أخبر احداً، حتى ولا أمي، وسأكون سعيدة إذا أبقيتما السر لنفسيكما. لقد أخبرتكما فقط لأن المفروض أن يولد الطفل في شهر كانون الأول، ويجب أن أذهب إلى المستشفى قريباً لأتأكد من أن كل شيء على ما يرام. أتريان، سأكون هنا عندما يأتي الموعد، على الأقل.. هذا إذا كنتما لا تزالان تريدانني أن أبقى.

وقالت هيلين «طبعاً نريدك أن تبقي. مايلز لا يستطيع إنهاء كتابه في الوقت المحدد دون مساعدتك. ولكنني أعتقد» وتوقفت قليلاً وبدا

عليها الإحراج «أشعر بأهمية أن اسألك يا كيلي، هل زوجك هو والد الطفل؟».

- أجل..

- إذاً أظن أن عليك أن تبلغيه.

- لا.. لا أستطيع.. سيأخذ الطفل مني عندما يولد إذا أخبرته.

- يا إلهي!.. أي نوع من الوحوش هو؟

عندها اخبرتهم بكل شيء حول دين دايفيد، وعن مقامرتها الحمقاء، وعن عقدها مع نيقولاس، وعن أسباب تركها له. واستمعا اليها باهتمام وصبر، دون مقاطعتها، وهما يستنتجان كل شيء من الطريقة التي يتغير بها وجهها وتعبيراتها عندما تتحدث عن نيقولاس.

وتمتم كايل «هاه.. هذا مثير للاهتمام.. من دواعي الأسف أنك لم تبقي هناك لتساليه ما إذا كان ما قاله جون حقيقي أم لا. فالرجل له الحق بالدفاع عن نفسه، ولا يكون مذنباً إلا إذا ثبت ذلك. على كل لقد انتهى الأمر الآن، وتستطيعين الاعتماد علينا لاحترام سرك».

وقالت هيلين «ولكن لنفترض أن شيئاً سار على غير ما نتوقع في اللحظة الاخيرة؟ فولادة الطفل الأول عادة تكون صعبة. يجب أن تعطينا الإذن لأن نخبر شخصاً إذا مرضت».

- والدتي فقط، تستطيعون إخبارها، ولكن عند الضرورة القصوى فقط.

- ولكن يجب أن تعرف مسبقاً. حتى لا تكون صدمة قوية لها. يجب أن تعرف أنك تتوقعين طفلاً، حتى تتحضر للأمر.

- حسناً، سأكتب لها في أقرب وقت.

- وبعدها، بعد ولادة الطفل، ماذا سيحدث؟

- لست أدري، سأواجه الأمر في حينه.

٦ ـ لن تعذّبني ثانية!

في احد الايام، من اواخر شهر ايلول، نقلت كيلي إلى المستشفى لإجراء عملية قيصرية، كان قد اقرها الطبيب النسائي الذي كان يقوم بفحصها خلال آخر مراحل حملها. وقال لها:

ـ إنك ضعيفة جداً لتحمّل الولادة الطبيعية، وهذا أفضل لك وللطفل.

وبالرغم من توترها، وعدم رغبتها في خسارة طفل نيقولاس، وافقت كيلي أن تجرى لها العملية. وهكذا، وبعد استفاقتها من تأثير المخدر في أحد الأيام المشمسة الجميلة أخبرتها الممرضة أنها اصبحت أماً «لسيد صغير جميل».

ووضع سرير الطفل إلى جانب سريرها في الغرفة الصغيرة المنفردة وهي نصف مخدرة، تستعيد وعيها بعد العملية. ورفعت نفسها عن الفراش شاعرة بالألم، وتطلعت إليه. بدا بصحة جيدة وكان نائماً، وقبضتاه الصغيرتان بالقرب من فمه.

كم كان أسمر البشرة.. مثل نيقولاس تماماً، بلون ذهبي وشعر اسود كثيف، يتباين لونه مع بياض شراشف المستشفى. لن يكون أمام نيقولاس أي شك بأن الطفل ولده... هذا إذا شاهده أبداً.

وعادت الى الاستلقاء، وحدقت في السقف، لقد تجاوزت محنتها، وأظهرت أن لديها القدرة على الاحتمال، وها قد نجت. وتمنت، لسبب ما، لو ان باولوس ديتريوس يعرف هذا. وتمنت لو أن نيقولاس يعرف، ولكن كيف لهما أن يعرفا إذا لم تخبرهما بنفسها؟

وتجمعت دموع الضعف في عينيها، وانهمرت على وجهها. الكبرياء الذي جعلها صامدة خلال الأشهر الماضية والذي مكنها من كبت أية مشاعر ودّ تجاه نيقولاس انهارت فجأة. ماذا فعلت؟ ولماذا أخفت عنه خبر أنها ستنجب طفلاً؟ وبأي حق تحرم الطفل من أبيه؟ آه... كم تمنت لو أن نيقولاس يأتي ليشاركها الفرحة بهذا الطفل الجميل. الذي أنجباه معاً. كانت ترغب في قدومه منذ أشهر، وهي تأمل في سرها لو أنه يتجاهل طلبها بعدم اللحاق بها، تتوق لأن يظهر، وأن يحملها عائداً بها إلى اليونان، إلى أي مكان، طالما تكون معه.

ودخلت عليها ممرضة لتتفحص الطفل وقالت لها:

ـ ما بالك الآن، أتشعرين بالأسف على نفسك؟

وهمست كيلي «كم أرغب أن يعرف نيقولاس بالطفل، أريده أن يأتي ليراه».

ـ ومن نيقولاس هذا؟.

ـ إنه... إنه.. زوجي... والد الطفل.

ـ أعتقد أنه سيأتي في وقت الزيارة.

ـ لا... لن يأتي.. أترين... إنه لا يعيش هنا. ولن يأتي إلا إذا طلبت منه هذا. آه... كم أريده أن يأتي. أريده بالفعل!.

ـ اسمعي الآن، أفضل شيء لك أن تنامي. نبضك سريع جداً ولن تتحسن صحتك إذا لم ترتاحي، وإلا فمن يرعى الطفل؟ لديك الآن

من تفكرين به سوى نفسك! أرى إنه لا يحمل اسماً بعد. ألم تفكري باسم له بعد؟

وهمست كيلي وهي تمسح دموعها عن خديها بأصابعها «ما هو تاريخ اليوم؟».

- يا إلهي.. أنت في حالة سيئة، إذا كنت قد نسيت تاريخ قدومك الى هنا. إنه السابع والعشرين من كانون الأول، والطفل ولد عند الساعة التاسعة هذا الصباح.

السابع والعشرين، يوم واحد بعد عيد ميلاد باولوس، الذي أعطي اسم سان بول. هكذا قال لها باولوس.

وهمست كيلي «أظن أنني سأسميه بو... بول» وهزت الممرضة رأسها وقالت «هذا جيد، الآن بدأت بالتفكير السليم».

وخرجت كيلي والطفل من المستشفى، بعد تحسن صحتها، في نهاية الاسبوعين. واتى كايل وهيلين لاصطحابها إلى منزلهما، حيث حضرت هيلين المهد الذي اشترته كيلي، في غرفة صغيرة بالقرب من غرفة نوم كيلي.

وكان هناك رسائل وهدايا من أمها وشقيقها بانتظارها، ولكن ليس من أحد آخر. لا شيء من نيقولاس. ولكن لماذا يجب ان يكون هناك شيء منه؟ لم يكن يعرف. ولم تطلب من أحد إخباره.

واستبقت لنفسها خيبة الأمل، وأقنعت نفسها أنها إنما أرادته أن يأتي، في ساعات ضعفها. وبدأت كيلي بمساعدة كايل على إنهاء كتابه والاعتناء ببول. وفي نهاية كانون الثاني، كانت النسخة الرئيسة للكتاب قد تم فهرستها وإضافة الهوامش لها. وأصبحت جاهزة للنشر. وتم الاتفاق على أن يسافر آل برنتون إلى لندن لتسليم الكتاب شخصياً لقسم التحرير في مؤسسة ميلتون، واصطحاب كيلي وبول معهما.

واتصلت كيلي بوالدتها تخبرها بقدومها للإقامة عندها في ريتشموند.

بعد ظهر اليوم الذي يسبق سفرهم. قررت كيلي أن توضب بعض ثيابها، خلال إغفاءة بول في العربة التي أوقفتها في الممر قرب الشرفة وتركت الباب مفتوحاً حتى يتمتع بالهواء النقي. وكانت هيلين قد ذهبت إلى دمفريز لبعض المشتريات، وكايل في مكان ما قريب، ربما يحضّر ايضاً لرحلة اليوم التالي.

وكان عليها أن تعترف بأنها ترتّب اشياءها بطريقة مشتتة. كان المنظر من نافذة غرفة نومها يجذب انتباهها. كانت الرؤية جيدة جداً بحيث أنها استطاعت رؤية الجبال قرب البحيرة في الجهة الأخرى من اللسان البحري، وقممها الفضية والبنفسجية وهي ترتسم باهتة قبالة السماء الزرقاء. في اللسان البحري نفسه، كان المد قد انحسر، ليكشف عن الرمال البنية اللامعة..

وقرع الباب وسمعت صوت كايل يدعوها باسمها «كيلي» وبدا أنه مقطوع النفس «هل أنت هنا؟».

- نعم، ماذا هناك؟ هل بول يبكي؟

وذهبت نحو الباب لتفتحه، وظهر كايل وكأنه مندهش، وخلف نظارته السميكة بدت عيناه تلتمعان بالإثارة، وهذا أمر غير عادي منه.

- لا، على الأقل لا أعتقد أنه يبكي. فلم أسمعه، ولكن هناك زائر لك.

- اوه... ومن هو؟

اعتقدت أنها واحدة من الجيران التقتها خلال اقامتها هنا وقد أتت لترى الطفل وربما لتقديم هدية صغيرة له، كما هي العادة. وقال كايل بطريقة مريبة «سترين بنفسك، تعالي فقط إلى الطابق الأرضي».

واحتارت لغرابة تصرفه، وعادت إلى داخل الغرفة وألقت نظرة على

نفسها في المرآة، وتأكدت من أنها حسنة المظهر. منذ أن ولد بول كانت ترتب شعرها إلى الخلف كالعادة، ولكن عوضاً عن تركه ينسدل على كتفيها أصبحت تربطه عند مؤخرة رأسها. ولم يكن مرتباً على الدوام، لأن بعض الخصل كانت تنزلق لتتدلى بجاذبية حول أذنيها ومؤخرة رقبتها، ولكن هذه الطريقة كانت تجعلها تبدو أكثر نضجاً، وأكثر جمالاً ايضاً، وحدقت بشكلها، كانت ترتدي ثوباً فوقه سترة صوفية لونهما بني وباج، له رقبة ضيقة، وعلى وسطها حزام جلدي عريض.

وخلعت خفيها بسرعة، وارتدت حذاء عالي الأكعاب ووضعت بعض أحمر الشفاه، وبعض البودرة على أنفها، ورضيت لنفسها بمظهر الأم العاملة، وهبطت إلى غرفة الجلوس في الطابق الأرضي.

لم يكن هناك أحد في الغرفة. وعبرت الردهة نحو غرفة الطعام. ولم يكن هناك أحد أيضاً. وذهبت نحو المطبخ، كان الباب إلى الشرفة مفتوح قليلاً، ومن خلاله استطاعت مشاهدة رجل أسمر ينحني فوق المهد. هناك شخص سيسرق بول!

وهرعت إليه، وفتحت الباب بسرعة وركضت إلى الشرفة وهي مستعدة للإمساك بتلابيب الدخيل، ولتقاتل من أجل ولدها. وصرخت به «ماذا تفعل؟ اتركه من يدك؟» ثم شعرت بأنفاسها تنقطع، وحنجرتها تقفل، وبدأ قلبها يخفق بشدة، بعدما ميّزت من هو الرجل، الذي وقف منتصباً والتفت لينظر إليها وصرخت «نيقولاس!؟ ماذا تفعل هنا؟».

يداه في جيبا بنطلون بذلته الرمادية، التفت اليها وألقى عليها نظرة غير مهتمة بشكل ظاهر، ثم استدار لينحني فوق المهد، وينظر إلى الطفل النائم. وتمتم «إنه يشبهني...» ثم بدا في صوته نبرة دهشة

«لقد اعتقدت دوماً أن الأطفال يشبهون الأطفال فقط ولا شبه لهم بأي شخص، مهما قالت أمهاتهم أو جداتهم، ولكنني متأكد أنه يشبهني تماماً».

- بالطبع يشبهك، إنه ابنك.

- حقاً؟

وظهر في صوته التعجرف البارد كما في نظرته التي وجهها اليها.

- حقاً!

لم يكن هذا اللقاء معه، يشابه ما كانت تتخيله. ولم يتصرف كزوج مستبد. ولم يأخذها بين ذراعيه ليطالب بحقه. فأضافت «طفل من سيكون إذاً؟» فقال وهو ينظر اليها نظرة ثابتة خطرة «ربما يكون طفل جون» وصرخت كيلي من الغضب «أوه» ولم تستطع التكلم، وتقدمت منه وصفعته على وجهه بأقصى ما تستطيع من قوة، واستدارت لتدخل المنزل. وعندما أصبحت في منتصف الطريق إلى غرفتها، أدركت أنها قد تركته وحيداً مع بول، ومن الممكن أن يخطفه، وقد تكون أعصابه باردة ليحمل الطفل إلى اليونان معه دون حتى أن يطلب إذناً، وهكذا بدأت تركض هابطة السلم، لتجده واقفاً عند أسفله وذراعاه مكتفان على صدره، يراقبها من تحت حاجبيه الدقيقين الشيطانيين.

وتمالكت نفسها، وهبطت آخر درجات من السلم بهدوء، ولكنها لم تستطع تخطي آخر درجة في السلم لأنه كان يقف في طريقها. وتطلعا ببعضهما وعيونهما على نفس المستوى، والتقطت كيلي شفتها السفلى بين أسنانها، عندما شاهدت العلامات التي تسببتها أصابعها على وجه نيقولاس.

- لماذا؟.. لماذا قلت هذا؟ ولماذا تظن أنه طفل جون؟

- من كل الوقائع التي كنت أنت وهو متقاربان خلالها اثناء اقامتكما

في سكيوس عندما كنت مسافراً. حتى في المدة الأخيرة ذهبت معه الى اثينا. ثم سافرت وقلت في رسالتك إنك لا تريدين رؤيتي ثانية. لذا استنتجت بنفسي مدى علاقتكما.

وحدقت كيلي به بصمت، وهي تقدّر ما هي الاستنتاجات التي قد يكون كوّنها عن تصرفاتها الخرقاء. ولكن لا بد أن شخصاً قد أخبره عنها وعن جون. لا بد أن شخصاً لمّح له بأن هناك بينهما شيء أكثر من الصداقة، من يكون يا ترى؟ ليس باولوس، بالتأكيد، فقد كان يرغب جداً في بقائها مع نيقولاس. فمن يكون إذاً؟ جون بنفسه؟ أم مارينا؟

وسألته ببطء «كيف عرفت أنني هنا؟».

ـ لقد سألت فينثون، فأعطاني هذا العنوان.. هل تعيشين مع هذا الرجل الذي أدخلني إلى هنا؟

ما تضمنه هذا السؤال كان واضحاً جداً، وآلمها بشكل غير محتمل بعدما أدركت كيف ينظر إليها، كامرأة عابثة. وقالت له من بين اسنانها:

ـ كنت أعمل له. وإذا لم تصدق، الأفضل أن تنتظر وتسأل زوجته هيلين عندما تعود من البلدة.

ـ ما هو نوع العمل؟

ـ الفهرسة وإعداد الهوامش لكتابه، والتأكد من أن كل المعلومات نسبت إلى الكتّاب الذين استخدم معلوماتهم، ولقد انتهى الكتاب الآن وسنعود إلى لندن غداً. وسأعود الى منزل والدتي لأعيش هناك.

وتقدمت نحو النافذة ونظرت إلى الخارج، كانت سيارة سوداء متوقفة هناك فسألته بأدب «هل قدت سيارتك كل هذه المسافة إلى هنا؟».

ـ اجل...

وتقدم منها ليقف بقربها عند النافذة، وهو يتكىء بكتفه إلى الحائط. ثم تابع يقول «كان الأمر مثيراً للاهتمام. فلم أكن قد شاهدت شيئاً من بريطانيا خارج لندن من قبل. إنها بلاد جميلة. ولم أشاهد من قبل اسكتلندا كذلك».

وساد صمت قصير وأردف «تبدين مختلفة».

واستدارت لتنظر إليه. بالنسبة لها بدا وكأنه لم يتغير ـ شعره الأسود، بشرته السمراء، الأنف المقوس. وسيماً بالطريقة الشيطانية. والتقت عيونهما، وشيء ما لمع في عمق عينيه السوداوين. وقال بلطف:

ـ تبدين بصحة جيدة، الأمومة ظاهرة عليك.

واتسعت عيناها قليلاً، بقلق، وارتدت نظرتها مبتعدة عن نظرته إلى الحديقة في الخارج. وسألته:

ـ هل أخبرك أحد... عن الطفل؟ هل طلب منك أحد أن تأتي لتراني؟

ـ لا.. لم يطلب مني أحد أن آتي، ولا أخبرني أحد عن الطفل إلى أن وصلت إلى هنا الآن، ودعاني كايل.. أليس هذا اسمه؟ للدخول، وقال إنه يعتقد أن عليّ أن أشاهد الطفل بينما انتظر قدومك، ودلّني على مكان وجوده. كيلي.. لماذا لم تخبريني أنك حامل.

ـ انا.. لا أعلم... لم أكن متأكدة..

وارتجف صوتها، وعضت على شفتها، غير متأكدة كم عليها أن تخبره الآن. وجاءها صوت نيقولاس جافاً:

ـ ربما... لم تكوني متأكدة أنه ابني؟

www.liilas-romance.com

ـ لا.. لا.. ليس الأمر هكذا. كنت متأكدة أنه طفلك. لم يكن في حياتي شخص غيرك. على الرغم مما تعتقده حولي وحول جون. إلا أننا لم.... اوه.. ليس لديك الحق لأن تشير إلى أن جون... ليس لديك الحق أبداً.

ـ كان يجب عليّ أن أكتشف بطريقة ما أن الطفل طفلي، بما أنك رأيت من المناسب أن تخفي عني موعد ميلاده.

وتوقف، وبدا في صوته بعض المرارة. ثم تابع:

ـ ولكن ردة فعلك أكدّت لي أنه لي. لقد ضربتيني بقساوة يا كيلي.

ـ انا آسفة.. لم أقصد إيلامك.

وشعرت بشيء يحثها على التحرك نحوه ومعانقته، وتقبيل خده، بشكل غمرها تقريباً، وأجبرت نفسها على إبقاء نظرها على الحديقة.

ـ إذاً بما أن أحداً لم يطلب منك المجيء، فلماذا جئت؟

وساد الصمت مرة أخرى، وسمعته يبتعد، وتطلعت إلى الخلف، لتجده يقف قرب المدفأة. ثم قال لها، وهو يقف ويستدير نحوها:

ـ والدي مريض جداً... إنه يموت.

وقالت له بصوت خال من الحياة «أنا آسفة».

إذاً لم يأت لأنه يرغب في رؤيتها، أو لأنه يريدها أن تعود. لم يرجع لأنه يحبها. فأضافت ببرود «كان من الممكن طبعاً أن تكتب لي لتخبرني. أو أن ترسل الرسالة عبر السيد فينثون» وحاولت جهدها أن تخفي الألم الذي اعتراها.

ـ وماذا كنت ستفعلين لو أرسلت لك رسالة؟ سترسلين رسالة اعتذار ومواساة؟ أو تقولي انك آسفة بطريقتك، المهذبة، الانكليزية الباردة؟

وتوقف، ثم مضى عبر الغرفة باتجاهها ونار غضبه اليونانية، قد التهبت فجأة، وكأنها تندفع لتحرقها. وسمعت صوتاً متوحشاً صادراً عن تنفسه، وقد بدا واضحاً أنه يحاول السيطرة على نفسه.

ـ لقد أتيت بنفسي لأقول لك، ولأطلب عودتك معي إلى سكيوس، ولإنهاء انفصالنا لفترة... على الاقل حتى يموت.

وتنفس ثانية بعمق وتابع:

ـ إنه يرغب برؤيتك، لقد سأل عنك كثيراً. وسيكون سعيداً عندما يعلم عن الطفل ويرغب في رؤيته أيضاً. هل تعودين معي غداً بدل الذهاب مع صديقيك هذين؟

الشعور بخيبة الأمل حل مكانها الآن الاشمئزاز، بسبب قدرته على أن يكون مخادعاً هكذا. إنه يريد لأبيه أن يرى بول ليظهر للعجوز أنه قد فعل ما طلبه منه، فقد تزوج وأنجب ولداً، لذا لن يكون باولوس مضطراً لترك ثروته لأشخاص آخرين.

وقالت بصوت جاف «سأفكر بالأمر» واستدارت لتنظر من النافذة ثانية. وقد سمعت صوت أغصان تتكسر تحت دواليب سيارة، فقد وصلت هيلين برنتون. وقال نيقولاس بصوت فيه سخرية «وكم يلزمك من وقت لتفكري؟ مما أعرفه عنك انك تتخذين قراراتك وليدة ساعتها، ام عليّ أن أقول ردة فعل.. حسناً.. فكري بالأمر. سأمضي الليلة في مكان ما، لا بد أن هناك فندق قروي قريباً من هنا. ولكنني سأعود باكراً إلى لندن. وسأتصل بك وأنا في طريقي لأعرف ماذا قررتي».

كانت لا تزال تنظر عبر النافذة، وشاهدت هيلين تفرغ مشترياتها، وأقبل كايل ليساعدها في حملها، وتوقفا عند السيارة، ربما ليشرح لها كايل الأمر. وبديا كما هما، زوجين في أواسط عمرهما تقرّبا أكثر من بعضهما بفعل عشرة السنين، دون افتراق، يفهمان ويتقبلان بعضهما. ولم تستطع كيلي أن تتخيل أنهما مرا أبداً بالتجربة التي تمر بها مع نيقولاس الآن، هذا الحب والكراهية في نفس الوقت، هذه الرغبة والرفض.

ـ كيلي... سيكون هذا لفترة قصيرة، ربما اسبوعين، لا يمكن أن يعيش أكثر...

صوت نيقولاس كان رقيقاً وعميقاً، يهتز قليلاً من الانفعال. ويداه رقيقتان على كتفيها، وهو يحركهما بلطف، وأجفلت كيلي في الحال وهمست:

ـ أرجوك لا تلمسني... أنا.. أنا لا أطيق أن تلمسني!

وغادر وجهه كل اللون الذي فيه، وتوتر فمه. ووضع يداه في جيوبه، وبدا في عينيه أنه يكرهها، ورأت فيه شيئاً لم تره من قبل، هناك بعض النحول في خديه، وخطوط حول فمه، وهالة زرقاء حول عينيه.

وقالت فجأة «سأعود معك غداً وأذهب إلى سكيوس لأرى والدك. ولكن لأجله فقط أنا عائدة، وليس لسبب آخر. و... وليس لك أن تستفيد من عودتي أفهمت؟».

وانسدلت رموشه الطويلة فوق عينيه، وانكمش فمه أكثر، وعندما تكلم خرج منه الكلام جافاً «فهمت». وعندها دخلت هيلين ومعها كايل.

ولم يخفيا فرحتهما لوجود نيقولاس في منزلهما، لأنه زوج كيلي. وبما أنهما تقليديان في نظرتهما للحياة وفي تصرفاتهما، كانا يؤمنان بالزواج، ولم يرض أي منهما أن يقضي ليلته في فندق في القرية المجاورة. وأصرّت هيلين قائلة «ولكن بالطبع يجب أن تبقى هنا. لن يكون هناك أي ازعاج. فلدينا غرفة نوم أخرى، وفيها سرير مزدوج ايضاً. سأذهب لأحضرها. إنه رائع أن نراكما معاً ثانية».

وهكذا بقي نيقولاس ليرى كيلي وهي تعتني ببول عندما استيقظ. وسار معها يتمشيان باتجاه القرية وهي تدفع عربة الطفل أمامها. وبينما

هما يتجولان بالقرب من الشاطىء، ساورها شعور بأنها تسير وهي تحلم. كان هذا شيء مختلف تماماً عما فعلاه في حياتهما معاً، بعيداً عن أي انفعال حسي، مرا به خلال شهر عسلهما، بين جزر بحر إيجة المشمسة. ومع ذلك فثمرة تجربتهما معاً تنام هنا بهدوء، في العربة، ويد نيقولاس موضوعة على مقبضها بطريقة امتلاكية، وهو يساعدها على دفعها صعوداً إلى التلة.

عندما عادا إلى المنزل ساعدها على تحضير بول للنوم، وبدا أنه يجد سعادة بحمل الطفل، وأخذ منها الطفل عندما أنهت إطعامه، وحمله قريباً من كتفه إلى ان تجشأ، بينما حضّرت له السرير. منظر طفلها وهو محمول بين ذراعيه القويتين بهذا الشكل الحميم والمريح سبب لها الغيرة، وتذكرت أن نيقولاس له الحق في رعاية الطفل إذا تركته ثانية أو طلقته، مما دفعها إلى أخذ الطفل منه.

شعورها بعدم الثقة التي مرّت بها وهما يتنزهان عاودها ثانية وهي تجلس إلى الطاولة مع آل برنتون ونيقولاس لتناول وجبة العشاء. هل حقاً من الممكن أن يكون نيقولاس ديتريوس، ذلك «البلاي بوي» ووارث الملايين، يجلس هنا في هذه الغرفة البسيطة يتناول طعاماً اسكتلندياً بسيطاً، وهو يتحدث ببساطة ومرح مع اثنين من العلماء حول مواضيع تصورت أنه يجهلها؟

وكالعادة أطعمت بول عندما افاق في العاشرة، وعندما عادت الى غرفة الجلوس، وجدت نيقولاس وحيداً، بعد أن آوى آل برنتون إلى الفراش، كما قال، لأنهما يريدان الاستيقاظ باكراً لبدء سفرهما نحو الجنوب.

وقال لها «سنذهب في نفس الطريق معهما» وأغلق كتاب الخرائط الذي كان يتفحصه وتابع «وهكذا نستطيع الوصول إلى ريتشموند دون المرور بلندن».

ـ ستدهش أمي حين تراك.

ـ أعتقد هذا.. ولكن أظن أنه حان الوقت لتقابلني، أليس كذلك؟ أنا آسف لأنني لا أستطيع أن آخذك لتقابلي أمي، لأنها تكون غائبة في مثل هذا الوقت من السنة في الباهاما. لا بد أن رعاية الطفل تتعبك، ألا تعتقدين أنه يجب أن تذهبي للنوم الآن؟

ـ أجل... ولكنني لن أنام معك..

ـ لا بأس، ولا حاجة لاختلاق الأعذار، فأنا متعود على النوم لوحدي تصبحين على خير.

وخرج من الغرفة، تاركاً كيلي تحت شعور بأنه صفعها على وجهها كما صفعته في السابق.

الرحلة في اليوم التالي كانت سهلة جداً، وأثبت بول أنه مسافر هادىء فقد نام في عربته في المقعد الخلفي طوال الطريق، ولم يستيقظ سوى لتناول وجبته.

ووجدت كيلي من المستحيل عليها أن تسافر هذه المسافة دون التحدث. لذا سألت نيقولاس اسئلة حول والده، وأخبرها عن انهياره المفاجىء بعد مغادرتها سكيوس بوقت قصير، على إثر العملية التي أجريت له في معدته، وكيف أخذه نيقولاس إلى نيويورك ليلقى العناية من أفضل الجراحين في العالم.

ـ ولكن لم يكن هناك فائدة. وفي شهر تشرين الثاني طلب مني أن أعيده إلى بيته، الى سكيوس، قال إنه يريد أن يموت ويدفن هناك. كل ما كنت أفعله خلال الأشهر الماضية هو التأكد من تحقيق كل رغباته، وأن يحصل على كل ما يتمنى خلال الاسابيع القليلة الماضية. لذا أتيت في طلبك، كما قلت لك.

ولم تقل كيلي شيئاً لفترة، بل جلست وهي تنظر خارج السيارة.

في قرارة نفسها شعرت وهي تستمع إليه يتحدث عن أبيه، وللرجفة العاطفية في صوته، أنه من السهل التصديق أنه في أعماق قلبه كان شخصاً عاطفياً لا يريد سوى مرضاة أبيه لأنه يحبه. وأن من السهل نسيان أنه ربما لا يريد سوى إرضاء العجوز بسبب تهديده القديم الذي قال لها جون عنه.

ولكن يجب أن لا تنسى أنه مخادع، ويجب أن لا تنسى لماذا تزوجها. وفوق كل شيء يجب أن لا تنسى لماذا جاء في طلبها أخيراً. لم يكن بسبب أنه يحبها أو يحتاجها، بل لتبقى معه طالما بقي باولوس حياً.

كان بول يصخب بالبكاء عندما فتحت لهما بريدجيت الباب، وعلى الفور تناولت الصبي من ذراعي أمه.

وأسرعت به الى الداخل وهي تقول «اوه يا طفلي الصغير، ماذا فعلوا بك؟ أتريد تناول عشاءك؟ حسناً ستتناوله».

والتفتت وهي تنادي «كيلي..» وشاهدت نيقولاس خلف كيلي وحدقت به. وقالت كيلي بسرعة:

ـ أمي... هذا نيقولاس.. نحن.. أنا.. حسناً، نحن عائدان إلى اليونان غداً لرؤية والده... و.....

ـ كان يجب ان تخبريني يا عزيزتي بأنكما ستنهيان انفصالكما.

وبشكل مدهش، توقف بول عن العويل، مما أثار كيلي، التي اخذت تتساءل لماذا توقف عن البكاء عندما حمله شخص آخر ولم يتوقف عن البكاء معها. وأراح الصغير رأسه براحة الى كتف جدته، واخذ يمص أصبع يده. وتابعت بريدجيت كلامها:

ـ أنا بريدجيت ميلتون، لقد حان وقت لقاءنا، ألا تظن هذا؟

بعد أربع عشرين ساعة، كانت تستلقي في غرفة نومها في الفيلا

على جزيرة سكيوس، وهي تنظر إلى النجوم تتراقص أمام النافذة لقد بدأت تمر بنفس العذاب الذي مرّت به أول ليلة مرت عليها في الجزيرة، وهي تتساءل أين سينام نيقولاس، وعما إذا كان مع مارينا الآن.

وكما توقعت، تولت تينا أمر العناية ببول وكأنه ولدها، وأخذته في الصباح التالي عندما استيقظ، وحممته، وغيّرت ملابسه، ثم أطعمته دون أن تسأل كيلي شيئاً.

وقال لها نيقولاس ساخراً، عندما احتجت عند تناول الفطار بأنها لم ترى بول خلال ذلك الصباح.

ـ لا تكوني غيورة، ربما تكون تينا قادرة على العناية به أفضل منك، لقد اعتنت بي منذ مولدي، وهذا لم يؤذني.

ـ ولكن وضعك مختلف، لقد كانت أمك مضطرة للعمل، وربما لم ترغب في أن ترعاك، وأنا أرغب في العناية ببول.

ـ ولماذا؟

ـ لماذا، ماذا؟

ـ لماذا تريدين رعايته بنفسك؟

ـ لأنه ولدي بالطبع.

ـ وولدي أيضاً، وبما أنه هنا الآن سيبقى هنا.

ووضعت كيلي فنجان القهوة من يدها. لقد حدث ما كانت تخشاه. لقد خدعها نيقولاس لتعود الى هنا مع الطفل، وسيأخذه الآن منها.

ـ لن تكون بهذه القساوة. لن تكون قاسياً لدرجة أن تأخذه مني!

ـ لن آخذه منك إذا بقيت هنا. والآن، إذا سمحت اذهبي وجيئي به لنذهب إلى المنزل الثاني لرؤية والدي.

وذهبا مباشرة إلى غرفة باولوس، ولدهشة كيلي، كان يجلس في مقعده المتحرك خلف طاولته الكبيرة، وكأن شيئاً لم يتغير خلال التسعة أشهر التي لم تشاهده فيها.

ولكنها صدمت بالتغيير الذي حصل له. لقد بدا أنه تقلص إلى نصف حجمه السابق. وبدا أقل بكثير من هيكل عظمي وهو يجلس هناك يراقبها وهي تقترب منه، ومع ذلك بقيت الشعلة في عينيه، وتوقدّت أكثر عندما شاهد بول. وقال بصوت متشكك:

ـ أحب أن أضمه. هل تعتقدين أنني أستطيع حمله؟

والتفت إلى الممرضة العريضة الكتفين التي كانت تقف بجانب الكرسي المتحرك. وكرر السؤال باليونانية وأجابته المرأة. وتطلعت كيلي في الغرفة مفتشة عن مارينا، ولم تكن هناك. وقال نيقولاس بصوت هادىء:

ـ أعطِ الطفل، ولكن ابقي بقربه، في حال ذهبت القوة فجأة من يديه.

وتقدمت منه وركعت ووضعت بول على ركبته. والتفّت يداه النحيلتان حول الجسد الصغير. وتمتم باولوس بشيء باليونانية وشاهدت كيلي الدموع تنزلق إلى خديه النحيلين. ثم تطلع إليها وهمس:

ـ لقد فعلتيها إذاً. لقد فعلتيها ونجوت.

وقالت له وهي تبتسم «أجل، لقد فعلتها»

ونظر إلى نيقولاس وتمتم «لقد كان اختيارك جيداً، فلديها قوة الاحتمال وروح التحدي، هذه الفتاة. عاملها بلطف واحترام، ولن تندم أبداً بزواجك منها» وعادت نظرته الى كيلي «شكراً لعودتك يا عزيزتي، تعالي ثانية في الغد. تعالي كل يوم. لقد اضأت حياة رجل عجوز».

وخرجا من الغرفة وتريثا لبرهة في إحدى الباحات المزدانة بالزهور، الدافئة بحرارة الشمس.

ـ ما معنى هذا المزاح بينك وبين والدي؟

ـ لقد قال لي مرة إنه يظن أنك ارتكبت غلطة باختياري زوجة لك. وقال إنني أبدو ضعيفة جداً لأن أستطيع الحمل. وكان على حق، أنا... أنا... لقد أجريت عملية قيصرية...

ـ يا إلهي...

وخرج القسم من فمه بصورة متوحشة، وغرز أصابعه في ذراعها، وأدارها لتواجهه.

ـ لماذا لم تخبريني؟ لماذا أبقيت كل شيء مخفياً عني؟

وانزعج بول من نبرة صوته فبدأ يبكي.

ـ نيقولاس إنك تؤلم ذراعي! أرجوك اتركني.. أنا.. أنا لم اخبرك حتى لا تأخذ الطفل مني..

وترك ذراعها فجأة وبطريقة فظة وكأنه يبعدها عنه. وبدأ يهبط الدرجات الحجرية التي تقود من الباحة إلى اخرى. وانتظرها عند اسفل السلم، وهو مستعد لمرافقتها إلى البيت عبر الممر الذي يتخلل اشجار الصنوبر وسارا لفترة صامتان. وأخيراً قال نيقولاس:

ـ إذا حملت مرة أخرى هل... هل سيلزمك عملية أخرى؟

ـ ربما...

وسارا لمسافة أطول نزولاً. ومن خلال أغصان الشجر استطاعت كيلي ان تشاهد لمعان البحر، وتسمع أصوات الامواج وهي تتكسر على الصخور. وقال نيقولاس وكأنه يكلم نفسه «هذا لا يهم».

ـ ما هو الذي لا يهم؟

ـ لا يهم إذا كنت غير قادرة على إنجاب المزيد من الاطفال.

ومد يده ليلتقط بول.

ـ دعيني أحمله قليلاً، تبدين تعبة.

وقالت وهي تناوله الطفل «لا... أفترض أن الامر لن يهم».

الآن، وبعد أن ولد له ابن قبل موت باولوس لم يعد يهمه أن لا تنجب اطفالاً بعد. لقد حققت له مبتغاه، وبعد أن يموت باولوس يستطيع طلاقها، وربما الزواج بمارينا، التي يمكن لها أن تنجب نسلاً كاملاً.

وقالت وهي تلحق به «لم تكن مارينا هناك».

وقال من فوق كتفه «لقد طردها. كانت هنا عندما عاد من نيويورك، ولكنه طلب منها أن تذهب» وسألته «ولماذا؟» وأجابها وهو يدخل القيلا أمامها «لا أعلم. لم يقل لي».

حسناً، هذا يعني على الأقل أنها لن تتعذب بعد الآن عندما تذهب للنوم. ولن تتساءل ما إذا قضى ليلة مع مارينا، وشعرت فجأة بالحبور، وكأنما حمل ثقيل قد رفع عنها.

الأسابيع التالية كان لها وقع هادىء غريب، بينما كان باولوس يتأرجح على حافة الموت. وكانت كيلي تعتني بطفلها بمساعدة تينا، ولم تترك لنفسها مجالاً للتفكير في ما وراء وفاة العجوز، وكانت تذهب لزيارته كل يوم، كما طلب، أحياناً كان نيقولاس يذهب معها، وأحياناً يكون في اثينا، في المكتب الرئيسي لمؤسسة ديتريوس وكانت تسعد برفقته عندما يكون موجوداً، وبدا لها أن كلاهما بدأ يعرف عن الآخر أكثر، ببطء وحذر، بسبب استكشاف أفكار بعضهما من خلال الحوار، وابتعادهما الدائم عن أي موضوع قد يسبب نزاعاً بينهما.

ولكن، كل هذا توقف بقدر محتوم. ففي إحدى الليالي تدهورت حالة باولوس بسرعة، وفي اليوم التالي، وصلت ابنته الصغرى كاتينا، ترافقها ابنتاها ومعهما مارينا، أمام دهشة كيلي. وبعدها مباشرة وصلت

أندريا مع زوجها من نيويورك، وكانت كيلي مسرورة لأنها لم تستضف احداً منهم. فقد استوعبتهم الڤيلا الكبيرة بكل سهولة، وكان هناك الكثير من الخدم لخدمتهم. ولكن مجيئهم كان يعني أنها لم تعد مالكة لنيقولاس لنفسها فقط، ومرة ثانية بدأت بالقلق حول علاقته بمارينا.

ولدهشتها، وصلت ماريلين ويمسلي، والدة نيقولاس إلى الجزيرة قبل وفاة باولوس ببضع ساعات. وقالت إنها اتت لأن باولوس سأل عنها، كانت طويلة انيقة، ترتدي بذلة صوفية جميلة، ببساطة تقليدية. شعرها أسود كثيف وعيناها ذهبيتين، وكانت تبدو أصغر بكثير من عمرها.

وقالت لها «لقد أردت ايضاً أن ألتقي بك، وأنا لست مسرورة منك ومن نيقولاس».

ـ أوه... ولماذا؟

ـ لقد انجبتما هذا الطفل الجميل وجعلتماني جدة. وسيكتشف الجميع الآن عمري الحقيقي.

وغرقت في مقعد مريح في غرفة نوم كيلي، ورفعت يديها إلى رأسها وازالت الشعر عنه، لتكشف أن تحت الشعر المستعار، هناك شعر خفيف أسود رمادي، وقد قصته قصيراً جداً. ولمعت عيناها عبر الغرفة وهي تقول:

ـ ها أنا!. لقد أعطيتك أكبر تحية أقدر عليها. لقد انتزعت شعري المستعار أمامك. أستطيع الآن معرفة سبب وقوع نيقولاس بحبك. إنك جميلة حقاً. اخبريني الآن عن باولوس العجوز المسكين.

خلال الثلاثة أيام التي تلت، كانت كيلي سعيدة بوجود مارلين في الجزيرة، فبروحها المرحة وتعليقاتها الفاضحة غالباً، أضفت بعض

الرونق على تصرفات عائلة ديتريوس، الثقيلة والكئيبة، وبعد انتهاء الجنازة جلست مع كيلي في الغرفة التي كان باولوس يجلس فيها دائماً بينما كانت وصيته تعرض على العائلة. وقالت مارلين بطريقتها المرحة:

ـ إن الأمر يبدو لك يوناني صرف، كما أعتقد.

ـ هل تفهمين ما يقولون؟

ـ أوه.. طبعاً... والدتي يونانية وعلمتني، وعلمتني بعض الاغاني اليونانية. يا إلهي.. استمعي إليهم!

وأشارت إلى كاتينا واندريا، وقد انفجرتا بالكلام، في ما يبدو أنه نقاش مع المحامين، ومع زوجيهما، ومع نيقولاس، ومع بعضهما البعض.

ـ شقيقتا نيقولاس قبيحتان، فظيعتان، أليس كذلك؟ تتشاجران حول الغنائم، هيا بنا نخرج لنسير قليلاً. سأسافر قريباً. لقد رتب نيقولاس كل شيء، ستحضر طائرة هليكوبتر لتنقلني إلى أثينا، وهناك بضع أشياء أود التحدث بها معك.

وسارتا ببطء عبر الباحة الخارجية، ونزلتا السلم نحو أشجار الصنوبر وقالت لها مارلين «إنهم يكرهون رؤيتي، هاتين المرأتين، أتعلمين هذا؟ إنهما تكرهانني لأنني أنجبت نيقولاس. أظن أنك سمعت كيف تزوجت باولوس؟

ـ سمعت القليل... أخبرني جون.

ـ أوه... هذا الإنسان... لا أتمالك نفسي من الاعتقاد أنه سيغمى عليه عندما تفتح الوصية الآن، وبسبب ولادة بول، خسر ابن اندريا العزيز الصغير جون فرصته لوراثة القسم الأكبر من ثروة باولوس أتعرفين من كانت زوجة باولوس الأولى.

ـ لا . . لا أعرف . .

ـ كانت كساندرا فولغاريس، الابنة الوحيدة لجيورغ فولغاريس، صاحب شركة الملاحة المشهور الذي كان باولوس يعمل له. وباولوس كان زوجها الثالث، والوحيد الذي حملت منه. وتزوجها لأنه عرف أنه من خلالها سيستولي على امبراطورية فولغاريس. وهكذا فعل، واصبحت امبراطورية ديتريوس. وأصبح باولوس تواقاً لابن يرثه، وعندما علم أنني انجبت طفلاً منه نتيجة علاقة عابرة، تزوجني ولقاء مبلغ من المال تخليت له عن نيقولاس.

ـ لقد سمعت عن هذا . . .

ـ وصدمت بالطبع . .

ـ قليلاً . . . ولكن فيما بعد أعتقد أنني فهمت.

ـ لقد كانتا تكرهاني، وكرهتا نيقولاس ايضاً لأن باولوس كان يفضله عليهما، وهما الآن تكرهانك لأنك تزوجت منه وأنجبت طفلاً، مما دفع باولوس لتغيير وصيته في آخر لحظة.

ـ غيّرها؟ ومن قال لك إنه غيّرها؟

ـ نيقولاس، لهذا كانتا تتشاجران، ولهذا بدا جون الصغير مريضاً.

واستدارت مارلين إلى كيلي بعدما وصلتا إلى باب الغرفة التي تسكنها:

ـ لقد سمعت أنك وجون تصادقتما كثيراً عندما أتيت إلى هنا أول مرة. وأظن أنك لن تجديه ودوداً بعد الآن. فقد وقف ابنك بينه وبين الثروة التي كان سيرثها بصفته الحفيد الوحيد لباولوس. لقد وقف بينك وبين نيقولاس. ألم يفعل هذا؟ وبسببه تركت نيقولاس في العام الماضي أليس كذلك؟

ـ أنا . . . لا ليس الأمر هكذا، لقد كنا مجرد أصدقاء. ولم يجري

شيء بيننا ولكنه قال لي لماذا تزوجني نيقولاس. قال إنه تزوجني بسبب . . . .

وتوقفت عن الكلام، وقد تذكرت أنها تتحدث مع والدة زوجها، وأن مارلين قد لا تحب ان تسمع ان ولدها كان مخادعاً مثل أبيه تماماً.

وتنهدت مارلين قائلة «لقد عرفت . . . حاول ان يسبب المشاكل بينكما . . . لقد دفعته أمه لهذا، تلك الساقطة الغيورة. ماذا قال عن نيقولاس؟ هيا . أخبريني! ليس هناك ما تخبريني إياه عن ولدي قد يصدمني.

ـ قال جون إن . . . إن نيقولاس تزوجني حتى لا يشك والده بعلاقته الغرامية مع مارينا.

ـ يا إلهي . . . كم كان هذا ذكاء منهم! إنها واحدة منهم. إنها ابنة خالتهم. وقدموها لباولوس عندما كان مريضاً، وقالوا إنها ممرضة ممتازة، ثم دفعوها نحو نيقولاس. ولم يكونوا يمانعون في أن تحمل منه لأن ذلك يبقي الثروة ضمن العائلة. ولهذا السبب تزوجها باولوس، ذلك الشيطان المتواطىء، لأنه لم يرغب أن يتزوج ابنه من عائلة زوجته الأولى.

ولم يكن هناك متسع آخر من الوقت لتكمّل مارلين حديثها، لأن آرني ظهر وقال إن الهليكوبتر وصلت. وقبل أن تذهب مارلين عانقت كيلي وقبلتها بحنان وقالت:

ـ أنا سعيدة لأن ابني وجد فتاة مثلك. ابقي معه يا كيلي. إنه يحتاج إلى كثير من الحب، لم يكن محظوظاً مع النساء اللواتي عرفهن، بما فيهن أنا . . أمه . . .

وأقبل المساء. ووضعت بول في فراشه. وأخذت كيلي تتجول في

الطريق ما بين الصنوبر باتجاه الڤيلا الكبيرة تبحث عن نيقولاس، وهي تفكر بكل ما قالته لها مارلين. وبما أن الجنازة الآن قد انتهت، ستواجه ما يجب عليها فعله. لقد أقبل الوقت الذي ستترك نيقولاس فيه ثانية. ولكنها لا تريد أن تتركه، أبداً. تريد أن تبقى معه لأنها تحبه. والمشكلة أنها ليست متأكدة بأنه يحبها، وربما لن تتأكد أبداً، بسبب الظروف التي التقيا فيها وتزوجا.

لو أنهما يستطيعان العودة بالزمن إلى الوراء. ويلتقيا ثانية دون ذلك الدّين الذي على ابيها بينهما، والذي أفسد علاقتهما منذ البداية، وكانت متأكدة انهما سيقعان في حب بعضهما بصورة طبيعية. آه لو أنها لم تستمع لجون!...

وكانت على وشك الدخول إلى القاعة الكبيرة، حيث ظنت أنها قد تجد نيقولاس وبقية عائلة ديتريوس هناك، يتحدثون ويتناقشون، ثم توقفت، كانت الغرفة مضاءة بضوء خفيف، وشاهدت بوضوح أن هناك شخصان فيها، نيقولاس ومارينا. كانا يقفان كما كانت غالباً تشاهدهما قريباً من بعضهما البعض، يتحدثان، كانت مارينا هي التي تتحدث بسرعة، وبهستيرية تقريباً... وانفجرت بالبكاء وألقت نفسها على نيقولاس.

وبينما كيلي تشاهد ذراعاه تلتفان حول المرأة، شعرت وكأنها تشارك في نوع من الكوابيس الليلية. وأرادت أن تصرخ... لا... لا لا تفعل هذا! لا أريد لهذا أن يحدث... لا أريد أن أعرف شيئاً عنه...

ولكنها لم تقل شيئاً. بل استدارت وركضت بسرعة عبر الممر. خارجة إلى الباحة، ورأت أمامها فتحة مقوسة في الظلام تقود إلى جانب التلة، فاندفعت نحوها.

٧ ـ دور الآلهة

كيلي، وقد أوجعها ما رأته، لم تلاحظ الى أين هي ذاهبة إلى أن أدركت أنها تسير صعوداً إلى التلة بدل النزول عبر الممر إلى ڤيلا نيقولاس. وتوقفت، ثم نظرت حولها، ومع أن القمر كان عالياً ويمكن رؤيته، كصحن مستدير أصفر يلمع في سماء شرقية، من خلال الأغصان المتموجة بفعل الريح، إلا أنه كان من الصعب عليها رؤية ما يحيط بها.

ووقفت لبضع لحظات، تستمع إلى الهواء وهو يئن عبر الأشجار، وتطلعت الى الأضواء المنبعثة من الڤيلا الكبيرة في الأسفل، ومن ورائها أضواء الڤيلا الأخرى، القريبة من الشاطىء الذي لم تستطع رؤيته. لم تكن قادرة على الرجوع بعد. لم تستطع العودة إلى هناك، لتستلقي على السرير لوحدها تتعذب من جراء تفكيرها بأن نيقولاس مع مارينا.

واستدارت، ونظرت إلى الأعلى، وشاهدت أعمدة معبد صغير، وهي ممتدة نحو السماء المنارة بضوء القمر، سيكون من الأفضل أن تصعد إلى هناك بدلاً من الاستلقاء دون نوم تغلي من الغيرة. أفضل بكثير أن تكون هناك، تحت النجوم والقمر. ستصعد، وتمكث هناك لبعض الوقت، ربما تجد حلاً لمشكلتها.

واخذت الأحجار تتدحرج تحت رجليها، ومرة أو مرتين كادت تصطدم بالصخور الناتئة، ولكن، بالتدريج، اعتادت عيناها على ضوء القمر وتمكنت من تمييز أشكال الاشجار ومنعطفات الممر. وكان المعبد أعلى بكثير مما ظنت وأصبح طريقها اكثر وعورة، وتطور إلى سلسلة من الدرجات العالية قادتها إلى الأعلى نحو مرتفع منبسط على قمة منحدر صخري.

في الوقت الذي وصلت إليه. اصبحت مقطوعة الأنفاس، والدماء تجري بسرعة في عروقها، ولكنها شعرت ببهجة غريبة بعد التغلب على آخر منحدر مرتفع، لتجد نفسها واقفة، وهي تتطلع الى القمر، الذي بدا الآن كالفضة، وهو يبحر عبر السماء، ويلقي ضوءه على البحر.

كان من حولها الأعمدة، والدرجات، أحجار المذابح القديمة للمعبد الأثري كانت مضاءة باللون الفضي بينما ظلالها كانت مظلمة سوداء، وهي ملقاة على بقايا الموزاييك في الأرض. والريح هناك كانت أقوى من الأسفل، تعبث بشعرها وترفع طرف تنورتها، وبدت كأنها تدفعها نحو حافة المنحدر.

واستدارت كيلي عن حافة المنحدر، وصرخت عالياً عندما اصطدم شيء بخدها... إنه خفاش يجول كالأعمى، وقد أزعجه وجودها. وإلى البعيد، تحت استطاعت أن ترى لمعان الاضواء من الڤيلتين. وبدتا وكأنهما على مسافة بعيدة إلى الاسفل. وبدأت الريح تئن بين شقوق الصخور وبدأت اشجار الزيتون من على بعد قصير تهمس وكأنها تصفّر.

ووجدت قطعة حجر ملساء مناسبة، ربما كانت يوماً قاعدة لتمثال، فجلست عليها. منذ آلاف السنين كان الناس يأتون الى هنا ومعهم

القرابين والهدايا لما كان هنا من إله أو إلهة. بعض الأحيان كانت هداياهم مصنوعة من الذهب او البرونز، اذا كانوا من الاغنياء. بعض الأحيان كانت هداياهم من الحيوانات، ماعز او حمل، أي شيء يستطيعون تحمّله إذا كانوا فقراء. مهما أتوا به كقربان، كانوا جميعاً يأتون وشيء واحد في ذهنهم، أن يسألوا الإله او الإلهة أن تتشفع لهم.

ربما كانوا يطلبون عودة الصحة إلى طفل مريض او إلى عضو آخر من العائلة. ربما بعضهم، النساء، يطلبن الإنجاب. وربما البعض الآخر، الشابات أو الشبان كانوا يطلبون العون في علاقاتهم العاطفية، ويصلّون كي يكون حبهم للشخص الآخر مستجاباً.

وتطلعت كيلي حولها في الدائرة المضاءة بنور القمر الى أكبر قطعة من الحجر، التي من المؤكد أنها كانت المذبح. لم يكن معها هدية لتقدمها، ما عدا السلسلة الذهبية التي تعلّقها في رقبتها، او خاتم الزواج الذي أعادته الى اصبعها. وصعدت يدها إلى رقبتها، وأخذت تعبث بالسلسلة التي أهداها لها نيقولاس. لقد أهداها الكثير منذ تزوجا! ملابس، مجوهرات، المنزل في اثينا، وطفل جميل. لقد أعطاها كل شيء قد تشتهيه المرأة ما عدا شيء واحد كانت ترغب فيه: حبه.

وابتسمت، ربما كان هذا هو الشيء الذي يجب أن تطلبه وهي هنا. ربما يجب أن تطلب أن تبتعد مارينا... وأن يحبها نيقولاس كما تحبه... ولكن ماذا ينفع السؤال؟.. لن يغير أبداً واقع أنها قد شاهدت نيقولاس وهو يأخذ مارينا بين ذراعيه. لن يجعلها هذا أقل ريبة به أو أن تثق به. الخيار الآن بين يديها، ولن يستطيع إله قديم عبده شعب قديم أن يساعدها. فهي إما أن تبقى وتغض نظرها عن واقع وجود مارينا وأنها عشيقة نيقولاس على الرغم مما قالته أمه عن العكس، أو أن تتركه ثانية.

استقلاليتها، روحها المحبة للتحرر، كانتا تمليان عليها ضرورة الذهاب. لا لزوم أن تبقى وتشعر بالإذلال. ستذهب، غداً... وستأخذ بول معها... لن تتركه لتكرهه مارينا كما كرهت نيقولاس شقيقاته. لن تترك ابنها في رعاية امرأة أخرى، واذا كان نيقولاس يريده، وطالب بالوصاية عليه حسب العقد بينهما، ستلجأ إلى المحاكم، وستقاتل من أجله.

وشعرت بأنها أفضل وقد اتخذت قرارها، وهي تتساءل بروح من المرح عما إذا كان الإله القديم قد استمع إلى مشكلتها، واستجاب لها. ونهضت كيلي واقفة، ونظرت نظرة أخيرة إلى الأعمدة الثلاثة الفضية التي تلمع تحت السماء، ثم وجدت طريقها إلى الحافة حيث ظنت أنها تسلقت من هناك.

النزول من هناك كان أصعب بكثير من الصعود، لان الظلال التي تسببها الصخور كانت خادعة. عدة مرات زلت قدمها ووقعت على مؤخرتها، وهي تشعر بوخز الصخور تحت ثيابها وتخدش جلدها، وبعد سقطة مؤلمة اخذت ترتجف ومضى عليها برهة قبل أن تستجمع ما يكفي من قوتها لتتابع طريقها، كانت خائفة من أن تسقط في هوة وتتدحرج على منحدر التل دون توقف، وأن تكسر رقبتها وترقد إلى الأبد، مختفية عن الانظار إلى أن تموت، وتأتي الطيور لتأكل لحمها وتنقر عينيها.

ولكنها تابعت طريقها ووصلت أخيراً الى منبسط مستوي، لتدرك أنها قد أضاعت كل حسها بالاتجاهات، ولم تعد قادرة على رؤية اضواء، وكانت بالقرب من بستان زيتون. عرفت ذلك لأنها سمعت حفيف أغصانها المستمر. لا بد أن القمر الآن موجود إلى الناحية الجنوبية الشرقية، والڤيلتان الى الناحية الغربية من الجزيرة، لذا، إذا

استدارت وظهرها إلى القمر وسارت إلى الأمام فقد تجدهما... أخيراً.

ووجدت بداية طريق يقود الى الأسفل عبر الزيتون، والتف الطريق واستدار كثيراً، الى أن خرجت اخيراً من بين الأشجار لتجد نفسها في مواجهة القمر ثانية. ولكنها استطاعت رؤية الاضواء ثانية تحتها وأعطاها هذا بعض الأمل، وهكذا تابعت طريقها، لتجد أنه يهبط بها من التلة في سلسلة من المنعطفات بين كروم العنب ليصل بها اخيراً الى مجموعة من المنازل المربعة الشكل تحت الكروم مباشرة، قريباً من البحر.

أول بيت وصلت إليه كان من طابقين. الطابق السفلي مفتوح مباشرة على الباحة الخارجية وبدا أنه مكان لإيواء الحيوانات، نسبة الى مزيج من رائحة الماعز والخيول المنبعثة منه، وكان هناك سلم حجري ملتصق بالجدار يقود إلى الطابق الثاني، وكان هناك ضوء يخرج من إحدى نوافذه.

وصعدت كيلي الدرجات إلى باحة حجرية واسعة، على أطرافها جدران تغطيها الزهور. وبعد تردد بسيط، استعادت خلاله في ذاكرتها بعض الكلمات اليونانية، قرعت الباب.

وأجابتها المرأة بكل أدب، ثم رفعت صوتها لتنادي على شخص في الداخل. وفي بضع لحظات خرج رجل، أسمر وله شارب رمادي. وبدا لكيلي أن عينيه التمعتا وكأنه عرفها عندما رآها.

ـ هل تعرف الانكليزية؟

وارتاحت، عندما هز رأسه بالإيجاب فتابعت:

ـ لقد خرجت في نزهة وأضعت الطريق، هل لك أرجوك أن تدلني إلى ڤيلا ديتريوس؟

وحدق بها بدهشة، ثم قال شيئاً باليونانية للمرأة، التي اختفت في الداخل وفتح الرجل الباب، وانحنى انحناءة استقبال. وقال:

ـ تفضلي.. تفضلي، كيريا ديتريوس، ادخلي واستريحي بينما أعد العربة ثم أوصلك الى المنزل.

وصاحت كيلي بالدهشة وقد عرفته «أوه.. أنت الرجل الذي يقود إحدى العربتين».

ـ هذا صحيح «كيريا»، انا باتروس بارارا، وهذه زوجتي إيرين، واولادي كريستوس وكريستينا. أرجوك اجلسي كيريا.. ستقدم لك زوجتي ما تأكلينه وتشربينه اثناء انتظارك.

ـ شكراً لك، شكراً... أنت لطيف للغاية.

عندما انتهت من تناول ما قدم لها، عاد باتروس، وشكرت كيلي زوجته وتبعته إلى الخارج حيث العربة كانت تنتظر.

كانت ليلة جميلة لركوب العربة على طول الساحل والقمر يضيء البحر بلون الفضة، والموجات الصغيرة تتلألأ وهي تتكسر على الشاطىء. ومالت كيلي برأسها على مقعد العربة وتركت لمخيلتها العنان لتعود الى أول مرة ركبت فيها مع نيقولاس في العربة، وكيف أنه مد ذراعه خلفها وعانقها. وتمنت فجأة لو أنه هنا معها الآن، ليلمس ركبتها بيده، ليضمها بين ذراعيه، وليجبرها على معانقته. وامتلكها شعور بالشوق إليه، وتصاعد الدم في عروقها، وبدأ رأسها يدور. ووعت خطورة هذه المشاعر، فتصلبت وجلست مستوية إلى آخر الطريق.

واخيراً ظهرت لها أضواء ڤيلا نيقولاس. وبدت كل الأنوار مضاءة. كل المكان كان يلمع بالأضواء. وعندما توقفت العربة أمام الباب سمعت آرني يصيح بشيء ما. وكان المدخل الرئيسي مفتوح على مصراعيه، وظهر نيقولاس عند المدخل، كشبح أسود امام لمعان

الاضواء، قبل أن يهرع الى الأمام نحو العربة، ويده ممتدة ليساعدها على النزول. وسألها بخشونة ويداه تقبضان على ذراعيها «اين كنت؟ أين بحق السماء كنت؟».

وعلى الضوء المنبعث من المنزل استطاعت رؤية وجهه يشع بالغضب وعيناه تشتعلان بالنار.

ـ لقد ذهبت في نزهة... إلى المعبد فوق...

ـ في الظلام؟ كان ممكناً أن تضلي الطريق او أن تقعي في هوة، يا إلهي.. أليس لديك عقل؟... لا عقل أبداً؟

وكان يهزها بقوة وجنون، وجذبت نفسها لتتخلص من بين يديه.

ـ لا.. ليس عندي. أوه.. ادفع له. ارجوك ادفع للسيد بارارا لأنه أتى بي إلى هنا، ادفع كثيراً وكثيراً من المال، إنهم فقراء، لن تعرف كم هو فقير بيتهم، ومع ذلك قدموا لي الطعام والشراب..

والتفتت إلى سائق العربة وشكرته ثانية، ثم ركضت متجاوزة آرني وتينا المذهولين، اللذين خرجا إلى الباحة ليريا ماذا يحدث، ثم هرعت الى داخل المنزل، وصعدت السلم، ودخلت الى غرفتها.

عندما وصلت الى هناك، ذهلت لرؤية مظهرها في المرآة، ودخلت راساً إلى الحمام، ومكثت وقتاً طويلاً في المغطس وهي تتفحص الجروح والخدوش العديدة التي أصابتها خلال نزولها من التلة. وعندما خرجت أخيراً من الماء شعرت بالراحة وقد عرفت بالضبط كيف ستتعامل مع نيقولاس. وبما أنها لم تدخل معها إلى الحمام ثياب نومها، وبعد أن جففت نفسها لفت المنشفة الكبيرة حولها، وخرجت نحو غرفة النوم. وجمدت في مكانها عندما شاهدت نيقولاس مستلقياً على الفراش، ورأسه وكتفاه على الوسائد.. وعندما شاهدها قفز من السرير وأقبل نحوها، وسألها:

ـ هل انت بخير؟

لم يعد هناك غضب الآن في عينيه وهما تنظران إليها، وقد ظللتهما رموشه السوداء، وحاجباه المقطبين وكانتا سوداوين بعمق كلون الهوة قرب المعبد.

ـ أجل.. بالطبع.. أنا بخير.

وتجاوزته نحو الخزانة لتنتقي ثوباً للنوم وقال لها:

ـ لقد غبت وقتاً طويلاً حتى بدأت أخشى أن تكوني غرقت او أغمي عليك.

وعلمت أنه يقف الآن بالقرب من كتفها الأيمن لأنها شعرت بأنفاسه على بشرتها. في وقت غير هذا كان ممكناً أن يدخل عليها الحمام دون أن يقرع الباب ليقف ويراقبها، وعضتّ على شفتها محاولة إيقاف أفكارها عن التمادي أكثر، وركزت اهتمامها على إيجاد ثوب نوم مناسب، وأخرجته من الجارور وأسدلته فوق رأسها دون ان تلتفت، وفتشت ذراعاها عن الأكمام وشعرت أن الثوب يرتفع ونيقولاس يساعدها على ارتدائه، وفكت المنشفة من حولها وتركتها تقع على الأرض. ثم تجاوزت نيقولاس وعادت نحو الحمام وعلّقت المنشفة وجمعت الثياب في السلة، وأطفأت الضوء وعادت إلى غرفة النوم. عندها سألها نيقولاس:

ـ لماذا صعدت إلى المعبد؟

وقالت له وهي تعبر الغرفة باتجاه طاولة الزينة:

ـ كان عليّ أن أفكر قليلاً...

وجلست أمام المرآة وبدأت تمشط شعرها.

وأخذت تنظر الى صورتها في المرآة، ذراعاها البيضاوان مرتفعتان، وشعرها الذهبي يلمع كأضواء الميلاد، ووجهها شاحب كلون الرخام، وشفتاها الحمراوان منضمتان لتشكلا خطاً رفيعاً متوتراً، وعيناها قلقتان وحذرتان.

وأتى ثانية ليقف وراءها، كظلٍ أسود بروبه الأسود، يزيد من بياض لونها. وعندما ارتفعت الفرشاة عن شعرها، أمسك بيدها، وبعد مقاومة بسيطة تركته يأخذ الفرشاة منها، وبدأ ببطء وبضربات قوية يمشط شعرها، وقد أحنى رأسه حتى أن كيلي لم تعد تشاهد سوى حاجباه العريضان وشعره الأسود ينسدل فوق جبينه.

وتنفست نفساً عميقاً. وهي تمسك الطاولة بكلتا يديها، وقالت بصوت ثابت وواضح:

ـ نيقولاس، أنا عائدة غداً إلى لندن، وسآخذ بول معي.

وفي المرآة راقبته وهو ينهي ضربة فرشاة ويبدأ بالثانية. ودون أن يتكلم تابع تمشيط شعرها إلى أن زالت التجاعيد منه، وانسدل كعادته على كتفيها، وتم التمشيط كما اشتهى، فوضع الفرشاة على الطاولة وأراح يداه على كتفيها، ونظر مباشرة إلى طيفها في المرآة، والتقت عيناه بعينيها، وابتسامة خفيفة أراحت خطوط فمه.

ـ الآن تبدين تماماً كالمرأة التي تزوجتها. لقد أصبحت مدللة قليلاً.

وبنوع من الذهول راقبت يداه تنزلقان حولها ليضمها إليه. وشعرت بخطورة الارتعاش الذي بدأ يتراقص في أعصابها، فانحنت إلى الأمام، آملة أن تخلّص نفسها من عناقه. ولكن يداه انزلقتا أكثر نحو خصرها وجذبها إليه أكثر.

وحاولت أن تجعل صوتها هادئاً وثابتاً وهي تقول:

ـ نيقولاس، ألم تسمع ما قلت؟

ـ أجل سمعت. ولكنني لم أحب ما سمعت.

ورفع رأسه ونظر إليها من فوق كتفها تماماً، وقال «تعالي لتنام».

ـ لا... لا أريد.

ووضعت يداها فوق يديه محاولة إبعادهما عن جسمها.

- بل تريدين. أظن أنك تحسين بقلبك يخفق كما قلبي تماماً.

وضغط عليها أكثر، حتى أنها أرجعت ظهرها إلى الوراء ورفعت رأسها إليه. فقال «أرأيت؟» ثم أطبقت ذراعاه من جديد عليها، ورفعها لتقف، بينما كانت تحاول الخلاص، ولكنه دفع الكرسي الموجودة بينهما برجله. وأمسكها بقوة ورفعها وسار بها نحو السرير.

- نيقولاس لقد وعدتني أن لا تستغل وجودي هنا.

- هل وعدتك بهذا؟ إذاً سأحنث بوعدي حالاً. لا أستطيع ان أقنع نفسي يا كيلي، أرجوك سامحيني لا أستطيع منع نفسي... أنت جميلة جداً يا زوجتي المتمردة ذات النظرة الملائكية... ولقد مضى عليّ وقت طويل... طويل...

واستغرقت كيلي في نوم عميق، ولم تستيقظ سوى عند سماع صوت باب غرفة النوم يفتح. وأدارت رأسها على المخدة لتجد تينا تدخل الغرفة وهي تحمل صينية، وكانت الغرفة معتمة، ولكنها كانت تعلم أن ضوء النهار يشع في الخارج، لأن أشعة الشمس كانت تمر عبر الستائر المغلقة على النافذة.

وسألت «كم الساعة الآن» وتمطت بكسل تحت الغطاء تتمتع بالشعور اللذيذ الذي يغمر جسدها، وتبتسم لنفسها قليلا وهي تتذكر ما حدث. وقالت تينا «إنه الظهر».

- ماذا؟ ولماذا لم توقظيني قبل الآن؟

وجلست في الفراش وجذبت الغطاء لتغطي صدرها. ونظرت الى الوسادة الأخرى حيث كان نيقولاس ينام، لماذا لم يوقظها؟ لماذا لم يكن يوقظها أبداً؟ لماذا كان دائماً يتركها وهي نائمة، وكأنه لص في الليل، أخذ ما يريد وذهب قبل ضوء الصباح؟

- كيريوس ديتريوس قال أن اتركك تنامين قدر المستطاع. قال إنك تعبة جداً وتحتاجين إلى راحة طويلة.

- ولكن ماذا بشأن الصبي؟

- عندما أفاق هذا الصباح حمله كيريوس ديتريوس إلى المطبخ لأطعمه. وهو نائم الآن في الباحة، إنه سعيد لأن والده وأنا اعتنينا به.

واعتقدت كيلي أنها تشير إلى أنه لا يحتاج اليها.

واضافت تينا:

- تناولي فطورك الآن يا كيريا.

وانحنت لها واضافت:

- لقد عادت الهليكوبتر من أثينا، وسترافقك والطفل إليها عندما تكونين مستعدة.

- اوه... وهل عليّ الذهاب إلى اثينا؟

- لقد قال كيريوس ديتريوس إنك ستذهبين.

وقال إنك قد تعودين إلى لندن غداً. سيراك في المنزل في أثينا بعد الظهر.

ونظرت إليها نظرة معادية أخرى، واستدارت وخرجت من الغرفة. وحالما خرجت، نزلت كيلي من السرير وركضت إلى الخزانة وأخذت روبها وارتدته وربطته حولها وعادت إلى طاولة السرير، وارتشفت قليلاً من القهوة، وجفلت من حلاوتها الزائدة، ثم نشرت الزبدة والعسل على قطعة خبز وأكلت بشراهة، وافكارها محتارة، تحاول التخمين بما يفكر به الآن نيقولاس.

لطيف منه ان يحجز لها رحلتها إلى لندن، خاصة بعدما حدث بينهما في الليلة الماضية. قد يعتقد المرء أنه لم يعنِ أية كلمة مما قاله لها عن رغبته فيها، وعن أنه يجدها أكثر جمالاً من أية امرأة عرفها في حياته، وعن سعادته لأنها زوجته وأم ابنه.

وجلست على الفراش فجأة، ويداها ترتجفان وهما تمسكان بأغطية السرير، وتجاهد لتمنع تدفق دموعها. ماذا دهاها؟ أين ذهبت روح التحدي والكبرياء فيها؟ أتترك نفسها على الدوام يؤلمها رجل لا يهتم بها، ويغادر الفراش غالباً قبل أن تستيقظ، ويعاملها وكأنها ليست أكثر من عشيقة، امرأة دفع لها المال لتنام معه؟

ولكن هناك أوقات خلال الأسابيع الماضية، عندما كانا يعيشان معاً هنا، اعتقدت أنه يهتم بها، وحتى الآن لا تزال تشعر بالارتعاش من أثر لمسات أصابعه على ذراعيها. لقد كان غاضباً لأنها كانت مفقودة، وغاضب جداً منها لأنها ذهبت تتمشى لوحدها في الظلام وكان يمكن أن تقع وتؤذي نفسها.

وعادت تينا لتقف قرب الباب.

ـ هل انت مستعدة كيريا؟ هل أحضّر الطفل للرحلة في الهليوكوبتر؟

ـ لا، لم أستعد بعد... يجب ان أحضر أمتعتي.. فانا لن أعود إلى هنا.

وساعدتها تينا في توضيب أغراضها، وحضرت بول للرحلة. ووضعته في حمالته التي حملتها بنفسها وأوصلته الى سائق الهليكوبتر، وكأنها لا تثق بكيلي. السفر في الهليكوبتر ليس جديداً على كيلي لانها كانت قد قدمت من أثينا فيها قبل ثلاثة أسابيع، ولكن الإقلاع لا زال يجعلها تحبس أنفاسها.

قد تكون هذه آخر مرة ترى فيها سكيوس، وتطلعت إلى الميناء الصغير من تحتها، ربما تكون آخر مرة ترى فيها البحر حيث تقع هذه الجزيرة الصغيرة بين مجموعة من الجزر الأخرى، جزر اليونان، التي خلقتها الآلهة، كما تقول القصص، بعد خلق الأرض كلها، بعد أن وجدت أن لديها حفنة من الصخور متبقية فشكّلتها وحملتها على

كتفيها ووضعتها هنا لتصبح جزر اليونان.

كانت ألوان البحر، خضراء كالجاد، تركواز، وأحمر قاني، وكانت الجزر فقاقيع من الصخور باللون الاصفر والاحمر، وعلى مسافة منها كانت جبال الأرض الأم تلتمع كالفضة والذهب أمام زرقة السماء.

عبر خليج سالونيك، انسابت الهليكوبتر نحو مطار أثينا، وهبطت الى مهبطها وهي تحدث الضجيج. وفكرت كيلي بأن تسرع إلى مبنى المطار الرئيسي والى مكتب الخطوط الجوية، وأن تحاول الحصول على رحلة تأخذها الى لندن، في هذه الأمسية.

ولكنها عاجلاً ما أدركت أن بول لا يزال مع الطيار وقد أخذه باتجاه سيارة ديتريوس الكاديلاك التي كانت متوقفة قرب مكان الهبوط، فأسرعت تجري خلفه.

وحيّاها سائق السيارة بأدب ووقار، وبعد بضعة دقائق كان المطار قد أصبح خلفها، والسيارة تنساب بسرعة عبر الطريق الرئيسي باتجاه اثينا.

وشعرت كيلي بشعور من يعود إلى بلده، عندما بدأت تتعرف على الأماكن والشوارع، والاكروبوليس، الذي ظهر فجأة عندما انعطفت السيارة في احد المنعطفات. كانت عواميده الرخامية تلتمع في ضوء مغيب الشمس، مما أعطاها رعدة من الإثارة.

وكان هناك شعور آخر، وهج خفيف من الرضى بالامتلاك، عبر من خلالها عندما استدارت السيارة أخيراً لتدخل بوابة الفيلا الصغيرة على سفح جبل ليكافيتوس، ولم تستطع كبح الشعور بالسعادة لكون الفيلا لها، ولكونها الآن فيها، في بيتها، بيتها الخاص، وأن نيقولاس ينوي لقاءها بعد الظهر فيه، وليس في شقته الكبيرة الفارغة في ڤيلا ديتريوس.

ولم يحضر أحد إلى البوابة الأمامية لتحيتها. ووقفت أمام الباب متحيرة، غير متأكدة ان المفاتيح معها.

وصعد السائق الدرج ووضع حمالة بول على الأرض، وأمام دهشتها أخرج المفتاح من جيبه وأدخله في ثقب الباب وفتحه وانحنى لها لتدخل قبله.

كان جو البيت دافئاً مع بعض رائحة العفن وكأنما كان مغلقاً لفترة طويلة ومع ذلك فلم يكن هناك أثر للغبار على الأثاث، ولا أثر بأن المكان كان مسكوناً مؤخراً. وتجولت كيلي في غرفة الاستقبال وتساءلت ماذا جرى لانيكا والخدم الآخرين الذين كانوا يعتنون بالبيت خلال الوقت القصير الذي عاشته فيه.

وسمعت الباب الأمامي يقفل، وأسرعت خارجة إلى الردهة، كانت حقيبتاها والحقيبة الصغيرة التي تضع فيها أغراض بول موضوعة داخل المنزل، وإلى جانبها بول يبكي بصوت مرتفع، ورجلاه الصغيرتان ترفسان عنه غطاء الحمالة. كان السائق قد ذهب وعندما حاولت اللحاق به لتسأله متى سيعود نيقولاس سمعت محرك السيارة يدور، تبعه صوت السيارة ترحل.

ولم يكن بالإمكان تجاهل ضجيج بول أكثر من هذا، فحملته الى غرفة الجلوس وبدأت تغيّر له. وعندما انتهت حملته وبدأت تتفقد المنزل، كان المطبخ نظيفاً، وأدواته لا تزال وكأنها جديدة ولم تستعمل والخزانة والبراد مليئين بالأطعمة. في الطابق العلوي كان السرير في غرفة نومها مرتباً وعليه شراشف نظيفة وفي غرفة الملابس الصغيرة كان هناك مهد طفل جديد كامل.

واحتارت مما لاحظته من دلائل على أن شخصاً ما كان في البيت ذلك النهار وبواقع أنه لا يوجد أحد الآن، وعادت كيلي الى الأسفل وأخذت حمالة الطفل معها إلى المطبخ، وهناك، وفي الساعة التي

تلت، وبول في حمالته يراقبها وهو يرفس ويناغي، حضرت بعض الطعام لها وحضرت له الحليب للرضعة التالية.

وتوقعت أن يصل نيقولاس قبل موعد نوم بول ولكن الطفل سرعان ما غط في النوم. وكانت الشمس قد غابت منذ مدة، ووقفت تنظر عبر النافذة إلى اضواء المدينة اللامعة، وقد توترت اعصابها بفعل الانتظار، واخيراً سمعت صوت السيارة السبور المألوف وهي ترعد قبل أن تقف أمام الباب.

وبصعوبة كبيرة قاومت شوقاً لأن تركض إلى الردهة وتفتح له الباب لتستقبله. ولكنها انتظرت إلى أن فتح الباب، قبل ان تتقدم إلى المدخل المقوس لغرفة الجلوس، وقالت له:

- اعتقدت أنك ستحضر إلى هنا في وقت أبكر.

ووضع نيقولاس حقيبة أوراقه وحقيبة ملابسه التي كان يحملهما، ومرر أصابعه في شعره، ليرتبه، وتقدم نحوها، ويده على رباط عنقه يحلّه، والتقت عيناه بعينيها، وقد بدا عليهما العجب ثم تغيّر التعبير إلى قلق. وقال لها:

- كان يوماً متعباً جداً - العديد من المشاكل كانت أمامي لأحلّها. والعديد من الناس لأقابلهم. بعد أن مات أبي...

وفرك يده بقلق على جبهته ودخل إلى الغرفة.

- هل بول نائم؟

- اجل.

- هل وجدت كل شيء كما يرام؟ المهد و...

واستدار ليواجهها وهي تلحق به، وقاطعته قائلة:

- أجل.. أجل.. ولكن أين الباقين؟ لم يكن هنا أحد عندما وصلت. أين هي انيكا والآخرين؟

- لم يحضروا الى هنا منذ غادرت السنة الماضية. واقفلت المنزل،

من الرائع أن نعود إلى هنا حيث الهدوء. في المنزل الآخر، هذين الخفاشين، اندريا وكاتينا، يتخاصمان طوال اليوم حول عملهما، قبلهما كانت مارينا تعتني بالمنزل...

- مارينا؟

- اجل.. لم يخصص لها شيء في وصيته. وكان عليّ أن أساعدها، لذا اتيت بها إلى هنا صباحاً.

- هل تذكرت أن تؤكد الحجز لرحلة الغد الى لندن؟ لي ولبول؟ لقد قالت تينا إنك ستسافر معنا.

- لا... لم أفعل.

- ولماذا؟

- أنا...

وتوقف عن الكلام. وقطب جبينه أكثر، والتقط شفته السفلى بطرف أسنانه البيضاء. وللمرة الأولى منذ ان التقته لاحظت كيلي أنه مضطرب. وتابع كلامه ببطء ونظراته تحاول تجنبها.

- لقد اعتقدت، أنك بعد ليلة أمس، قد تغيرين رأيك وتبقين... لفترة ما.

- الليلة الماضية؟

وهزّت كتفيها، واستدارت عنه وتقدمت نحو أحد المقاعد لتجلس إلى جانبه.

- وماذا عن ليلة أمس؟

وانتظرت مترقبة انفجار غضبه، وهي تتفحص أظافرها لأنها لم تجرؤ على النظر اليه.

- إنها لا تعني لي شيئاً، ولم تعني لك شيئاً أيضاً. انت مهتم بمتعتك فقط. فما زلت انت ومارينا، ولا تزال تفضّلها عليّ. لقد تركتني هذا الصباح لتأتي بها الى هنا.. أنت.. أنت تعاملني وكأنني

عشيقتك، وتعاملها وكأنها زوجتك بدلاً.. بدلاً من أن يكون العكس!

وبدلاً من انفجار غضبه، انفجر الصمت بينهما. وكان صمت مرعب متوتر، استطاعت كيلي أن تسمع خلاله دقات قلبها. ثم سمعت نيقولاس يتحرك.

ضربات أقدامه على السجادة السميكة كانت كضرب الفولاذ، وكأنه وحش كاسر. وقال بسرعة:

- هل تسمحين بأن تشرحي لي ما قلتيه؟ لقد أربكتني. ماذا تعنين بقولك إنني ما زلت أنا ومارينا؟

- انت... وهي... أنتما تحبان بعضكما... انت... انت تتمنى أن تتزوجها.

ورفعت رأسها وحدقت به متحدية:

- أوه... لا تنكر. لقد شاهدتها بين ذراعيك الليلة الماضية... في ڤيلا والدك... و...

- إذاً كنت أنت من سمعتها تجري.

- وهل... سمعتني؟

- أجل... وركضت خلفك، وناديتك، ولكن عندما وصلت إلى الحديقة كنت اختفيت، وظننت أنك عدت الى الڤيلا الأخرى، ولذا ذهبت الى هناك أيضاً. ولكنك لم تكوني هناك وبعد أن انتظرت كثيراً اعتقدت... يا إلهي... لا تفعلي بي هذا ثانية. لا تتركيني دون ان تقولي لي إنك ذاهبة.

ومد يداه ليمسك بوجهها ويرفعه اليه وينحني لينظر عميقاً إلى عينيها وقال بلطف، مع بعض التهديد:

- اتسمعينني؟

وهمست ترد عليه «أجل سمعت» ورفعت يداها إلى رسغيه لتقبض عليهما.

www.elromancia.com

ـ ولكن... ولكن... لا يزال عليك أن توضح لي أمر مارينا.

ـ لقد كانت مستاءة لأن والدي لم يذكرها بوصيته وأدركت أنني وهو قد عرفنا كل شيء عن مؤامرات اندريا وكاتينا لتغيير قلبه عليّ... وشعرت بالأسف عليها وحاولت مواساتها.

ـ اه... أجل مواساتها...

وجذبت يداه عنها، وتركتهما ثم وقفت لتسير مبتعدة عنه نحو النافذة، واضافت بمرارة:

ـ لقد واسيتني من قبل، وانظر ماذا حدث... أم أنك نسيت؟

ـ لا لم أنسَ.

واندفع نيقولاس ليقسم مرة أخرى وأحست به يتقدم خلفها، ولم تكن يداه رقيقتان عندما لمس كتفيها، ولم يعطها فرصة لتخلص نفسها بل جذبها اليه ووضع أصابعه تحت ذقنها وأجبرها على وضع رأسها على كتفه.

وتركها فجأة بحيث أنها، وهي غير متوازنة، كادت تقع من النافذة لو لم يصل إليها ويعيدها إلى ذراعيه. وهمس لها قريباً من أذنها:

ـ ارأيت، لن أستطيع السيطرة على نفسي، كلما كنت بقربك، عليّ أن المسك وأتأكد أنك حقيقية وأحاول جذب انتباهك بأية طريقة. حالما وقعت أنظاري عليك في ذلك النادي للقمار في لندن أحببتك، وأردتك. ولكن كان هناك شيء أكثر من الرغبة بالطريقة التي شعرت بها وإلا لما أردت أن أتزوجك. وإلا لما شعرت بالغيرة عندما علمت ما كان يجري بينك وبين جون عندما كنت في نيويورك...

ـ لم يكن هناك شيء بيني وبينه.

ـ ولكن مارينا قالت هذا.

ـ لقد رأتنا مرة او مرتين نتعانق..

ـ مرة واحدة تكفي... انه جون من اختلق القصص لك عني وعن

مارينا. وانت صدقتيه.

ـ لم يكن من الصعب أن أصدق. لقد شاهدت كل شيء بنفسي كيف كنت وهي تقفان معاً وتتهامسان سراً في الزوايا... ثم... ثم... عند أول ليلة لنا في سكيوس يوم... زفافنا... لقد بقيت حتى بعد نصف الليل في فيلا والدك معها...

ـ لم أبق معها... كنت مع أبي.

ـ ولماذا لم تخبرني إذاً؟

ـ أذكر أنك لم تكوني مهتمة عندما انضممت إليك يومها. وقلت إنك تعبة.

ـ وبعد ذلك، بعد شهر العسل. لم تسكن معي في هذا المنزل. كنت تأتي وتذهب... مثل... مثل الزائر.

ـ ظننت أن هذا ما تريدينه. كنت أعرف أنك تزوجتني من أجل المال، وأن الامر كان لك زواجاً بالمقايضة، ولا شيء آخر. لقد أوضحت ذلك منذ البداية ولأنني رغبت بك كثيراً، وافقت على الأمر، متمنياً دائماً ان يأتي يوم قد تتعلمين كيف تحبيني كما احبك.

واشتدت ذراعاه حولها وتابع:

ـ ثم تركتيني وذهبت، ودون كلمة تفسير، لماذا تركتيني السنة الماضية؟ أتخبريني الآن؟ أظن أن لديّ الحق لأعرف.

ـ لقد أخبرتك بالرسالة التي تركتها لك.

ـ لم تقولي شيئاً، لقد شتمتني فقط.

ـ أنا... حسناً، بالطبع، لقد خمنت السبب؟ لا بد أنك ادركت أنني عرفت.. أعني أنني...

وتوقفت عن الكلام، واندفعت لتخبيء وجهها في صدره. وأردفت:

ـ أوه... لقد صدقت ما قاله جون لي. لقد صدقت أنك تزوجتني

بسبب... انك ترغب في ذر الرماد في عيون والدك... و... ومنعه من أن يحرمك من وصيته... بإنجابك وريثاً. ولم أستطع احتمال الخبر، لم أستطع تحمل معرفة أنك بهذه الصفات.

وامتدت ذراعاها لتلتف حول عنقه وأخذت أصابعها تتخلل شعره الأسود ورفعت وجهها إليه وتابعت:

ـ أترى... أنا... لقد بدأت أحبك. ولكنني لم أدرك ذلك إلى أن... إلى أن أدركت أنني لن أستطيع التخلص من طفلك.

ـ يا الهي... هل فكرت بهذا العمل؟

ودفعها بعيداً عنه، ويداه على كتفيها، ونظر إليها وقد ظهر الرعب في عينيه، وهزت رأسها بالإيجاب. وانتظرت أن يتحطم غضبه فوق رأسها، ولكن بدلاً من ذلك جذبها إليه ثانية وأحاطت بها ذراعاه وهمس «أيتها الحمقاء الصغيرة... ايتها السخيفة، ايتها المشاكسة الحمقاء! لماذا أردت فعل هذا؟ لماذا»؟.

ـ أنا.. أنا... لقد أردت أن اسبّب لك الالم بطريقة ما، كما اعتقد... لأنك... لأنني اعتقدت انك لا تحبني.

ـ لقد احببتك، وأحبك الآن... وأريد أن أظهر لك أنني أحبك، كما فعلت الليلة الماضية، ولكنني خائف... آه يا إلهي... كيلي لقد جننت ليلة أمس عندما لم تكوني في الفيلا، ولم تعودي. لقد ظننت أنك ربما تركتيني ثانية، وأنني لن أجدك. وعندما عدت... أنا... لم اتمالك نفسي.

وتهدج صوته ثانية وهو يدفن رأسه في شعرها وأردف:

ـ أيمكن ان تسامحيني لما حصل؟

وغمر الفهم ذهن كيلي بأضواء لامعة. لقد كان فعلاً يهتم بها، وهناك الكثير بعد يحتاج للتفسير، ولكن هذا يمكن ان يحدث في أي وقت، الليلة، أو غداً، او اليوم التالي، في أي وقت في الشهر القادم

او السنوات القادمة والتي سيكونان خلالها معاً. أما الآن فالمهم أنها يجب أن تظهر له أنها تهتم به، وتواسيه عندما يكون منزعجاً، كما واساها، أن تظهر له أنها تهتم بما يكفي لمشاركته بول، ما يكفي للمخاطرة بإنجاب طفل آخر.

وقالت له وبلطف «حسناً... سأكون سعيدة لأن أحمل منك بطفل جديد، وقد عرفت الآن ما هو شعورك نحوي و... الطبيب لم يقل إنني لا أستطيع الإنجاب.. في الواقع قال إن الامر قد يكون أسهل لي... في المرة الثانية».

ـ وهل أنت متأكدة؟

ـ أنا متأكدة.

وابتسمت له وعيناها تلمعان من خلال أهدابها وتابعت:

ـ وإذا كنت بحاجة للاقتناع، لماذا لا تزورني الليلة، بعد العشاء طبعاً، سأذهب لأطبخ الآن.

وتملصت من بين ذراعيه وتوجهت إلى المطبخ ولكنه لحق بها وأمسك بخصرها وسارا معاً وقال لها متحدياً «هل تعرفين كيف تطبخين؟».

ـ طبعاً أعرف.

ـ طعام يوناني؟

ـ حسناً... سأحاول.

في نهاية الأمر، احتاجت لمساعدته، ولكنهما تمتعا بتحضير الطعام معاً، وتشاركا في السعادة، وهو شيء كان مفقوداً في علاقتهما من قبل. وقالت له وهما يجلسان يتناولان الطعام على ضوء الشموع:

ـ أتلاحظ أنها المرة الأولى التي نكون فيها لوحدنا هنا؟

ـ إنها المرة الأولى التي نكون فيها لوحدنا في أي منزل... وهذا أمر مختلف... أليس كذلك؟

ليس هناك من يلهينا عن بعضنا، ولا أحد ليتدخل. لهذا تأملت حضورك اليوم وقلت لأنيكا إنك لست محتاجة لخدماتها. على الأقل لبضعة أيام.

ـ تأملت أن آتي؟ لم تكن تتوقع قدومي؟

ـ لم أتوقع منك أي شيء أرغب به لقد كنت دائماً متقلبة.

ـ ليس أكثر منك.

ـ أما زلت تريدين الذهاب إلى لندن؟

ـ ليس حالياً.. وهل.. هل تريدني أن أذهب؟

وأجابها ساخراً «ليس حالياً» ثم قطب جبينه وقد بدت عليه الحيرة «ولكن لم يتوضح لي لماذا تركتيني المرة الماضية؟ هل تمانعين في إخباري ما قاله لك جون بالضبط حول ذر الرماد في عيني أبي؟ وما دخل زواجي بهذا؟».

وأخبرته ثانية ما قاله جون. وهذه المرة مع اسئلته المستفسرة استطاعت أن تشرح له بتأني أكثر، وما أن انتهت حتى كان يضحك دون سيطرة على نفسه، فقالت له بحدة:

ـ نيقولاس.. لم يكن الأمر مسلياً يومها. لقد كان جون مقنعاً جداً ولم أجد صعوبة في تصديقه بأنك أنت ووالدك تشاجرتما. لقد كان رجلاً ذا إرادة قوية وانت عنيد، لقد قلت لي هذا بنفسك.

ـ أعرف... أعرف.

ومسح الدموع عن خده من الضحك وتابع:

ـ صحيح أننا كنا أحياناً نتشاجر ولكن علاقتنا عموماً كانت مسالمة، كان يجب أن يمازحني أحياناً، وكان يفعل هذا عادة حول وضعي كاعزب. وهذا ما سمعه جون بالتأكيد. أما الجزء الذي قاله عن تهديد أبي بحرماني من الوصية إذا لم اطيعه وأتزوج وأنجب وريثاً فقد اخترعه، ليخدم اهدافه.

ـ وما السبب؟

ـ ليحرّضك ضدي حتى تتركيني... ونجح...

نجح في لعبته، أليس كذلك؟ فبدلاً من إخباري ما قاله لك، بدلاً من أن تعطيني فرصة شرح وجهة النظر الأخرى، تركتيني وذهبت.

ـ وأفترض بانها مصادفة أنك تزوجتني بعد وقت قصير من سماع جون حديثكما؟

ـ أجل... فالزواج كان بعيداً عن تفكيري كما كان دائماً عندما ذهبت إلى لندن لأسوّي أمر دين والدك. لم أكن أنوي الإصرار على دفعه. والترتيبات تلك كانت فكرة دايفيد وليست فكرتي. لم يكن ليقبل مساعدة دون توقيع تلك الترتيبات. كنت أنوي تمزيق الاتفاق ونسيان الأمر... إلى أن التقيتك. لقد كذب عليك جون يا كيلي... لقد تزوجتك لسبب واحد، لأنني أحببتك من اول نظرة.

ـ إذاً.. لماذا تركتني أهجرك؟ لماذا لم تلحق بي إلى انكلترا؟

ـ لقد طلبت مني أن لا ألحق بك. لقد قلت إنك لا تريدين رؤيتي ثانية. وأنا عندي كبريائي، كما تعرفين وكان صعباً عليّ أن اتحمل ما حصل بعد كل ما أظهرته لك من الحب، والاهتمام بك. لقد ظننت لفترة بعد رحيلك، أنك لست أفضل من أية امرأة أخرى، وأنك لست سوى سافلة تركض وراء المال، وأنك إنما تعطين بالقدر الذي تحصلين عليه.

قساوة كلماته جعلها تجفل فقد اقترب كثيراً في وصفه مما كانت تنوي فعله تماماً.

ـ اعتقدت أنني استطيع فعل هذا.. اعتقدت أنني أستطيع أن آخذ ولا أعطي، لقد حاولت. حاولت جاهدة أن لا أحبك. ولكن طوال الوقت الذي أمضيته في اسكتلندة كنت آمل أن تتجاهل ما كتبته في رسالتي وتأتي لرؤيتي.

ـ وأنا بقيت أتأمل أن تكتبي لي طالبة حضوري. ولكن بعد مضي الشهور ولم ترسلي شيئاً بدأت أفكر بالطرق التي يمكن أن أراك فيها دون انتظار طلبك. بحثت عن أعذار للتقدم منك. ووفر لي مرض والدي العذر الذي ظننت أنه سيؤثر فيك.

ـ إذاً فهو لم يطلب رؤيتي؟

ـ طلب هذا عدة مرات. لم اقل له أبداً إنك تركتيني، أتعلمين هذا؟. لم اكن أنوي الاعتراف بالفشل، كما أعتقد. لقد ادّعيت أنك ذهبت إلى بريطانيا في عمل يخص عائلتك وسترجعين قريباً. ثم كان عليّ التغلب على كبريائي. وجدت من الصعب عليّ أن أتنازل عن كبريائي وأذهب وراءك. أترين... منذ سنوات أحببت امرأة لم تبادلني الحب، واقسمت من يومها أن لا أدع الأمر يحدث لي ثانية.

ـ ومن كانت؟

ـ هيلغا سويس زوجة عالم الآثار.

ـ إذاً انت من سببت الفضيحة!

ـ اجل... أنا.. لقد كنت على وشك الهرب معها.

ـ الهرب؟ ولماذا؟

ـ سؤال جيد. لماذا؟ لقد كانت جميلة شقراء، تختلف عنك، ذهبية أكثر. وكنت شاباً، ويوناني ودمي حار، ومليء بالعاطفة، وكنت غير ناضج أمام امرأة فاسدة. وأقمنا علاقة معاً، على الجزيرة وتحت نظر الجميع.. هل انت متأكدة أنك تحبين أن تسمعي كل التفاصيل؟

وتقابلت نظراتهما عبر الطاولة فقالت له «أرجوك تابع».

ـ إلى أن أتى دايفيد الى سكيوس لرؤية كارل ففقدت اهتمامها بي وحوّلته إليه.

ـ اوه.. لا!.. إنه لم... إنهما لم....

ـ لست ادري ما حصل بينهما، ولكنني كنت غيوراً وثار كبريائي لأنها فضلته عليّ، وتحديته في إحدى الليالي... لقد كان مسروراً مني، ثم هدّأني، ولطّف من حدتي، وحذرّني من هيلغا وأمثالها من النساء. وقال إنها مهتمة بي لأنني وارث للملايين وعندما تحصل على ما تريد مني، فعلى الأرجح ستتخلى عني، ثم غادر في اليوم التالي، وعادت هيلغا تهتم بي مجدداً.

ـ وماذا فعلت؟

ـ أخذت بنصيحة دايفيد، لقد اكتشفت أنني أهتم أكثر بأعمال والدي، وأحب أن اتعلّمها كما تعلمها هو. من على ظهر السفن. فذهبت إليه وبعد بضعة أيام كنت على متن حاملة بترول قديمة، في طريقي الى الخليج الفارسي.

ـ وهيلغا ماذا حصل لها؟

ـ لا أعرف، لم أشاهدها ولم أشاهد كارل بعدها فعندما رجعت إلى سكيوس كانا قد غادراها منذ زمن. والآن لقد عرفت لماذا أنا ممتن كثيراً لدايفيد. ولماذا كان عليّ مساعدته عندما كان في ورطة مالية؟ ولقد أدركت لتويّ أنني لو لم أقرضه المال لما التقيت بك.

ـ لو أنك لم تقرضه المال لما كنت مرتابة بك ولما صدقت أبداً ما قاله جون عنك... أوه ـ كم كنا اغبياء... كلانا، أن ندع الكبرياء يدخل بيننا، وأن ندع الآخرين يكوّنون لنا آرائنا حول بعضنا البعض. كم انا سعيدة لأنك أتيت إلى سكوتلاندة وطلبت مني الرجوع معك لرؤية والدك.

ـ لنفترض أنني لم أذهب إلى عندك، أكنت اتيت؟ هل كنت اخبرتني عن بول؟

ـ أظن أنني كنت سأفعل... أنا... لم أكن قد قررّت ماذا سأفعل عندما أغادر سكوتلاندة.. اوه ارجوك يا نيقولاس، لا تنظر إليّ هكذا!

لا تشعر بالألم هكذا: أنا.. لم أكن أستطيع أن أخطط للمستقبل أكثر من يوم بيوم منذ مقتل خطيبي السابق. لقد حاولت من يومها أن لا أتوقع الكثير من الحياة او من الناس. حاولت أن لا أحلم ولا أتمنى تحت أي ظرف... في حال، ربما.. لم تنجح الأمور كما أشتهي. أرجوك حاول أن تسامحني لعدم إخبارك بمولد بول. كنت خائفة إذا اكتشفت الأمر أن تأخذه مني.. ولكن.. لو كتبت لك وطلبت قدومك لرؤيتي ورؤيته، هل كنت ستأتي؟

- كنت سآتي...

قال هذا بكل بساطة، وادار يده لتصبح فوق يدها وأمسك بها ورفعها الى شفتيه ليقبلها.

- اذاً.. لا بأس بالأمر، أليس كذلك؟ أعني لو أنك اتيت لاكتشفنا مشاعرنا كما اكتشفناها الآن.

إذاً ليس هنا فرق كيف أو لماذا التقينا ثانية أهناك فرق؟ كل ما يهم أننا التقينا.

- هذا هو المهم.

ووقف نيقولاس ورفعها لتقف. وقادها، وذراعه حول خصرها، نحو الباب ثم الى الردهة.

- كل ما يهم أنك الآن هنا، وأنك ستبقين، والعشاء قد انتهى. اما الآن فماذا كنت تقولين حول زيارتي لك بعد العشاء؟ لا أحب ان ابدو ملحاحاً بطلب حقوقي الزوجية، ولكنني كنت أفكر بالانتقال للسكن في تلك الغرفة بشكل دائم...

أتوافقين على هذا؟

وردت عليه كيلي بسعادة.

- أوافق...

ومعاً سارا ببطء وهما يصعدان إلى الطابق العلوي.

النهاية